



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

تطور المذهب المالكي في اتجاه تبني العقيدة الأشعرية.. قراءة تفويمية في السياق المرابطي

مذكرة مكمّلة لمتطلبات نيل شهادة الماستر
تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي

إعداد الطالبة:
عبير فريتيح

أمام لجنة المناقشة:			
الاسم	الدرجة	الجامعة	الصفة
د.مراد لكحل	أستاذ محاضر	جامعة محمد بوضياف بالمسيلة	رئيسا
د.لخضر بولطيف	أستاذ محاضر	جامعة محمد بوضياف بالمسيلة	مشرفا ومقررا
د.عبد الغني حروز	أستاذ محاضر	جامعة محمد بوضياف بالمسيلة	مناقشا

السنة الجامعية: 1440-1441هـ / 2019-2020م



الإهداء:

إلى من أرسل إلى خير الأمم
وإلى من كان سببا في هدى العرب والعجم
وإلى نبيل الخلق وعالي القيم
إلى والدتي ويا من تملك جنة تحت القدم
وإلى من كانت سندي في رفع الهمم
إلى والدي والذي رعاني حتى الهرم
وإلى من كان عونني في مناجاة القمم
إلى حاملي العلم وحاملي القلم
إلى الداعين إلى الفلاح وإلى غايات أهم
إلى رواد المدرسة القيمية لا جرم

الشكر والعرفان:

قال تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: 19].

فأولا أحمد الله وأشكره جزيل الشكر، وأثني عليه وأحمده حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، حمدا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، فإياك نعبد وإياك نستعين، وكفى بك وكيفا وحسبنا ونصيرا.

ثم أتقدم بخالص الشكر والامتنان وبأسمى عبارات الوفاء والعرفان إلى والدي الكريمين - أطال الله عمرهما، وجعل مثواهما الجنة-، وإلى كامل أفراد عائلتي كل باسمه ومقامه.

كما أتقدم بخالص امتناني وتقديري، إلى من كان خير سند لي وخير قدوة يقتدى بها؛ أستاذي **لخضر بولطيف**، وأقول خير أستاذ وخير مرشد وخير موجه وخير رفيق وخير معين لي في مشواري البحثي، فكان من بداية البحث إلى نهايته كريم العطايا عظيم الوصايا، فلم يبخل علي بنصائحه وإرشاداته وتوجيهاته متعهدني بها، فتكرم علي من وقته وجهده وعلمه، فكان عند تمام المسؤولية وأكثر، ومعه عرفت لذة طلب العلم والمعرفة والجد والمثابرة؛ تشجيعا وتحفيزا، فيضرب به المثل الأعلى لذلك.

فالكلمات لا تفي ولا تكفي لإعطائه حقه من مدى عرفاني له، فكان لي الفضل وأعتز وأفخر أنني حصلت على فرصة إشرافه على مذكرتي، فنعم الإشراف.

كما الشكر موصول إلى الأستاذ **عبد السلام همال** الذي كان دائما عند سؤالي له كان يهتم بإجابة، والاعتناء بانشغالاتي، وإلى جميع أساتذة قسم التاريخ، وزميلاتي رفيقات دربي، وإلى من كان لي معينا وسندا وداعما ومساعدة ومشجعا.

فأسأل الله عز وجل أن يجازيهم عني خير الجزاء، وخير الثواب، وأن يجعلها في ميزان حسناتهم، وأن يرضى الله علينا وعليهم دنيا وآخرة.

المقدمة

1- أهمية الموضوع وإشكالياته:

يعتبر التاريخ المذهبي لأية دولة في غاية الأهمية، فهو يكون عمود استقامة الدولة، فيه تضمن الدولة استقامتها ودوامها، أو يؤول بها إلى التدهور والزوال.

كما يعتبر أس المجتمعات؛ فبصلاح المعتقد يصلح المجتمع، وبفساده يتدنى مستوى المجتمع وقيمه، وإنه قد عرف المشرق الإسلامي عدة مذاهب إسلامية سنية؛ منها المذهب الأشعري نسبة إلى مؤسسه أبي الحسن علي بن إسماعيل المنتسب إلى موسى رضي الله عنهما - وهو مدرسة إسلامية سنية أصيلة متمسكة بالكتاب والسنة، فلا يسلكون في المعقولات مسالك المعطلة المقدرة لكنهم يجمعون في مسائل الأصول بين الأدلة السمعية وبراهين العقول، ويتجنبون إفراط المعتزلة، ويترددون تفريط المجسمة المشبهة، وينكرون مذاهب الجهمية، ويبطلون مقالات القدرية، فمذهبهم أوسط المذاهب القائم على الإثبات والتنزيه باعتماد أدوات النظر العقلي السديد وله ثوابته وأسسها وظفها المفكرون المشاركة، فعملوا على نشرها وتدريسها وامتد إلى خارج المشرق الإسلامي ليصل إلى الغرب الإسلامي، هذا الأخير كان محل جدل كثير من المؤرخين حول قضية كيفية إدخال المذهب الأشعري إليه ونشره فيه وخاصة في الفترتين المرابطية والموحدية، بين ناف لأعلام الفترة المرابطية وجعلها جوا خاليا من الممارسات الأشعرية شاهدة غيابا أساسيا في الاهتمام بالعلوم العقلية والكلامية، بينما نجد مؤيدي الفترة الموحدية وجعلها نجم الأشعرية.

وعليه لقد خصصنا مجال دراستنا بعصر المرابطين والموحدين (القرن 5-

11/13م) باعتبار أن هذه الفترة تعد من أهم الفترات للغرب الإسلامي في العصر

الوسيط حيث شهدت عدة أحداث رسمت صورتها، وخاصة ما يتعلق بالتاريخ المذهبي والتاريخ السياسي، والتي لا يزال محل اهتمام الكثير من الباحثين، حيث لم يتوقف البحث فيه والتنقيب في قضاياها وظواهره المختلفة.

وإن أهمية موضوعنا تكمن في دراسة الجانب المذهبي الأشعري للحقبة المرابطية خاصة، وجهود كل من علمائها في خدمة المذهبية الأشعرية والدعوة إليها، ودورهم في ترسيخها.

وبناءً على ما تم ذكره فإن من أهم الأسباب التي دفعت لأن يقع اختيارنا على هذا الموضوع، ما يلي:

-الرغبة في دراسة تاريخ المذاهب، بعيدة كل البعد عن مختلف التواريخ الأخرى وخاصة التاريخ العسكري.

-سبق الاهتمام بالمذهبية الأشعرية على غرار المذاهب الأخرى، وفضول التعرف عليه.

-تسليط الضوء على أشعرية المغرب الإسلامي خلال الفترة المرابطية.

-التأكد على مدى رغبة المغاربة والأندلسيين في استقاء الأشعرية من خلال التوجه لأصحابها وخصوصا المشاركة.

-تقديم البرهان على المجهودات الفردية في الفترة المرابطية.

-تسليط الضوء على الإنجازات الأشعرية المرابطية.

-العمل على إبراز مدى دور العامل السياسي في خدمة المشروع الأشعري.

ومن هنا وإنّ البحث يدور حول المذهب الأشعري ومدى حضوره وانتشاره في الغرب الإسلامي -على غرار الفترتين- وخاصة في تقويمه على العهد المرابطي، مراجعة وتفنيدها لما هو شائع من كون العهد لموحدي هو بداية العلم والعمل الأشعري. وعليه يمكن صياغة مجموعة من الإشكاليات الرئيسية التي يدور حولها فحوى موضوع البحث وطرحها كالآتي:

-كيف دخل المذهب الأشعري إلى الغرب الإسلامي بعد القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي؟

-فيما تمثلت جهود المغاربة والأندلسيين في نشر الأشعرية والترويج لها؟

-إلى أي مدى كانت فعالية العامل السياسي في رسم مسار الأشعرية؟

-إلى أي مدى يمكن اعتبار الفترة المرابطية قد سبقت إلى ارتواء الأشعرية واحتضانها قبل المشروع الموحدوي؟

2- الدراسات السابقة:

في مسار اطلاعنا وبناء الجانب التصوري الذي ينطلق به البحث تم استدراك أن الموضوع قد لقي اعتناء في دراسات سابقة لامست الموضوع، ومن أهمها: "تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي" ليوسف احناة، فكانت هذه الأخيرة ذات نظرة عامة، بينما جاءت محاولتنا أكثر تفصيلاً، محاولين سد الثغرات التي تشوب البحث، وإكمال النقص، وإنارة بعض الجوانب التي أغفلتها مختلف الدراسات السابقة.

3- المنهج والرؤية:

لمعالجة الإشكاليات المطروحة وما يحيط بالموضوع من ملاحظات ارتأينا انتهاج المنهج التاريخي من خلال الرجوع إلى المادة العلمية الموزعة بين أمهات الأصول

والمراجع واستقائها منها، مطبقين آلية الوصف، وذلك من خلال إبراز الصفات التي اتصف بها العلماء سواء تعلق الأمر بما بلغوه من مستوى علمي أو ما بلغوه من مكانة اجتماعية أو سياسية أحيانا أخرى، كما اتبعنا آلية التحليل، تجلّى ذلك من خلال تحليل الآراء والأفكار العقدية وكذا الفقهية، وللوقوف على بعض العقائد وفهمها إلى تأويلها.

كما أن البحث لم يخل من انتهاج آلية المقارنة حيث تمثل في محاولة المقارنة بين الروايات التاريخية التي تخص الموضوع وبين الروايات والنصوص العقدية هي الأخرى مدعمة بالاستشهاد والاستقراء عملا على ذلك من أجل البرهنة والتأكيد والدفاع على الاستنتاجات التي تم الوصول إليها وخدمة للهدف المنشود.

4- هيكل الموضوع:

وبناءً على ما انطوت عليه الإشكاليات المعلنة وما جمع وقمّش من مادة علمية حول الموضوع رسمت وجسدت خطة البحث الموسومة على الشكل التالي، والموزعة على أربعة فصول:

فكانت الانطلاقة بالفصل الأول الحامل عنوان: عقيدة المرادي.. والموقف السياسي من الأشعرية، الذي انقسم بدوره إلى مبحثين:

المبحث الأول: المرادي وعلم الاعتقاد.. تحصيلا وإنتاجا.

المبحث الثاني: الأشعرية كخيار عقدي للسلطة السياسية المرابطية.

بينما خصصنا الفصل الثاني للمسار العلمي للأشعرية.. من الوافد إلى المحلي.

المبحث الأول: الباجي والأشعرية الوافدة.

المبحث الثاني: الضرير والأشعرية المحلية.

أما الفصل الثالث فعنون بابن رشد.. حوصلة ولحظة مفصلية، والذي اندرج تحت
مبحثان:

المبحث الأول: ابن رشد منفتحاً على المؤثرات الأشعرية.

المبحث الثاني: ابن رشد وحدود التحفظ على إشاعة الكلام الأشعري.

أما الفصل الرابع والأخير، فكان مناسبة لتناول الأشعرية بين التوظيف السياسي
والتكريس العلمي، ففسحنا فيه المجال للحديث عن مبحثين:

المبحث الأول: التوظيف السياسي للأشعرية.. مرشدة ابن تومرت.

المبحث الثاني: التكريس العلمي للأشعرية.. برهانية السلاجي.

5- الدراسة النقدية:

وبما أن مجال بحثنا يغطي زمنيا الحقبين المرابطية والموحدية وجب علينا
اعتماد الأصول الأساسية المواكبة لهذه المرحلة التي هي دائرة البحث، كما أن طبيعة
البحث جعلت منا نعتمد مجموعة مصادر تنوعت ما بين ترجمية وعقدية وإخبارية
لاستقاء المعلومات منها.

أ- كتب التراجع:

كان اعتمادنا عليها بالدرجة الأولى، كما حظي هذا النوع من المصادر بأهمية
بالغة في دراسة لمراحل حياة كل من الشخصيات وما اتصفوا به، فكان الاستئناس بها
كبيراً، حيث أنارت هذا الجانب من البحث، ويأتي في مقدمتها كتاب ترتيب المدارك
وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك لأبي الفضل عياض (ت544هـ/1149م)
بأجزائه الثمانية، فكان بمثابة قائمة للمفكرين الأشاعرة وخاصة خلال الفترة المرابطية.

وإلى كتابه المعنون بالغنية - فهرست شيوخه - ولقربه زمانا من الحدث الأشعري
ولكونه تلميذا للضرير ولأبي الوليد بن رشد، فكان من أنفسها مادة وعلما وصدقا.

ويليه كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلماهم ومحدثيهم وفقهائهم لأبي
القاسم ابن بشكوال (ت578هـ/1182م) بمجلديه الاثنين، ولكونه متلمذا على يدي أبي
الوليد بن رشد، فكان أكثر مصداقية وعونا. ثم كتاب بغية الملتمس في تاريخ رجال
الأندلس لأبي جعفر أحمد بن يحيى اللورقي المعروف بالضبي (ت599هـ/1203م)،
الذي جاءت فائدته في التعريف بعلماء الأندلس. وأيضا كتاب أبي يعقوب التادلي
(ت617هـ/1220م)، التشوف إلى رجال التصوف، هذا في مرحلة متقدمة من البحث.

أما المتأخرة فكان اعتمادنا على كتاب أبي عبد الله الذهبي (ت748هـ/1348م)
الموسوم بسير أعلام النبلاء، حيث احتوى على مجموعة أسماء لأعلام مشهورين.
وأيضا كتاب الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لأبي الوفا ابن فرحون
(ت799هـ/1397م) مشتملا على أبرز أسماء الأشاعرة. وأيضا كتاب نيل الابتهاج
بتطريز الديباج لأبي العباس أحمد بابا التتبكتي (ت1036هـ/1627م)، وكذلك كتاب
شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لأبي الفضل محمد مخلوف
(ت1350هـ/1931م).

ب- كتب العقائد والأصول:

كانت هذه من المصنفات الأوفر حظا، حيث نالت قسما كبيرا من اشتغالنا عليها،
كما شملت أجزاء كبيرة من فصول البحث، حيث مثلت الصورة المطابقة لذهنيات
المفكرين وتجلت كقواعد وقوانين للأشعرية المتداولة آنذاك، حيث لا تقل أهمية عن
المصادر السابقة، وتأتي في الطليعة:

كتاب العقيدة للمراي أبي بكر (ت489هـ/1096م) فجاءت بالتعريف بعلم المرادي وبفكره وآرائه العقديّة. ويليه كتاب المنهاج في ترتيب الحجاج لأبي الوليد الباجي (ت474هـ/1087م) فاستفدنا منه أيضا من معرفة الفكر العقدي الباجي، إضافة إلى كتابة النصيحة الولديّة فضمت مجموعة نصائح لولديه الاثنيين، وأيضا كتاب إحكام الفصول إلى أحكام الأصول، وأيضا كتاب الحدود في الأصول. ويليه كتاب التتبيه والإرشاد في علم الاعتقاد للضرير (ت520هـ/1126م) حيث كان فكر الضرير مجسدا في كتابه هذا، فتم التعرف عليه من خلاله. ثمّ مرشدة ابن تومرت (ت524هـ/1036م) التي تضمنت فكر ابن تومرت ونسقه العقدي. ثمّ كتاب العقيدة البرهانية لأبي عمرو السلاجي (ت594هـ/1197م)، وقد مثلت فحوى الفكر السلاجي وآرائه العقديّة.

فكانت هذه المؤلفات أكثر مصداقية من غيرها كونها نقلت لنا آراء علمائها بأقلامهم لا غيرهم فكانت أكثر أهمية.

ج- كتب الفقه والمسائل:

وتبعنا لما تقتضيه طبيعة البحث لزم علينا اعتمادها، حيث كان لها الفضل الكبير في الكشف عن بعض الحقائق، كان من بين أهمها الحوار السائد حول الموقف من الأشعرية، فكان أول اعتمادنا على كتاب المسائل أو الفتاوى لأبي الوليد بن رشد الجد (ت520هـ/1126م)، حيث كان هذا الأخير بمثابة الناطق عن الواقع لما اشتمل من مسائل ونوازل ومنه القضية المدروسة. إضافة إلى كتاب البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة من الأسمعة المعروفة بالعنبيّة، وأيضا كتاب المقدمات والممهّدات لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام والشرعيّات والتحصيلات المحكمات لأمهات مسائلها المشكلات.

د- كتب التاريخ والحواليات:

كانت في صفوف مصادرنا، وذلك حسب ما تطلبه ثنايا وفصول البحث فكان مجديا الاعتماد عليها، ومنها:

كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر لأبي زيد عبد الرحمن بن خلدون (ت808ه/1405م)، حيث نقل لنا صورة عامة عن الأحوال السياسية والعقدية بالمغرب الإسلامي ومنه عن المرادي وعن ابن تومرت، إضافة إلى كتاب المعجب في تلخيص أخبار الأندلس والمغرب لعبد الواحد المراكشي (ت647ه/1249م) الذي غطى الفترة المرابطية إلا أنه كان متحاملا بعض الشيء على المرابطين وأيضا الحلل الموشية لمؤلف مجهول. وكتاب أخبار المهدي بن تومرت لأبي بكر البيهقي (ت555ه/1160م) ومن عنوانه تدرك الأهمية.

أما عن المراجع هي الأخرى لم تغب من عداد البحث، وفضلا عن كتاب "دخول المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي" ليوסף احنانة، الذي كان متتبعا لمراحل تطور المذهب الأشعري مشرقا ثم مغربا متسلسلا في ذكرهم، يأتي كتاب "النظرية السياسية عند المرادي وأثرها في المغرب والأندلس" لمحمد الأمين بلغيث، وكتاب "عثمان السلاجي ومذهبيته الأشعرية" لجمال علال البختي، وكذلك كتاب "البعد السياسي في انتشار المذهب الأشعري في المشرق الإسلامي ومغربه" لمصطفى مغزاوي، إضافة لكتاب "فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الإسلامي" للخضر بولطيف، وكتاب "المهدي ابن تومرت -حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب-" لعبد المجيد النجار.

فكانت هذه أهم المصادر والمراجع المشهود لها بالتخصص في مجالها من خلال الاطلاع عليها وقراءتها إلى توظيفها، ورسم خطة للبحث، وبناء إشكاليات البحث، وتخريجها وإعادة عنوانتها وتنويعها.

ولم يكن إنجاز البحث بالأمر السهل واليسير علي فقد صاحبتني ظروف وأوضاع استثنائية عسيرة، ولكن تم تجاوزها، لا جعلها عراقيل صارمة، خدشت إنجازها وإنهاءه على الشكل المطلوب.

وفي الأخير، إنني لا أزعم أنني قد أوفيت البحث حقه، وأنني قدمت عملا كاملا متكاملا، وغطيت جميع جوانبه، لكنني مع ذلك بذلت قصارى جهدي، ومع العزيمة والإصرار على أن أقدم بحثا، محاولة فيه إنارة بعض جوانبه، وإزالة الشوائب عن بعض الحقائق لتتضح بعض المعاني وتصحح بعض الأخطاء.

وإنني في هذا أسأل الله السداد واليسر والتوفيق، وأسأله الهدى والهداية، وبحمده تتم الصالحات.

قال تعالى: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: 88].

الفصل الأول:

عقيدة المرادي .. والموقف السياسي من الأشعرية

أولاً: المرادي وعلم الإعتقاد .. تحصيلاً وإنتاجاً

1- شيوخ المرادي.

2- تلاميذ المرادي.

ثانياً: الأشعرية كخيار عقدي للسلطة السياسية المرابطية

1- الحضور السياسي للمرادي.

2- العقيدة المرادية.

كان الغرب الإسلامي خلال القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي قد عرف بشخصيات قد لعبت دورا هاما في صناعة الأحداث، وخاصة ما يتعلق بالجانب العقدي الأشعري إلى الجانب السياسي، وكان في طليعة هؤلاء أبو بكر محمد بن الحسن الحضرمي المرادي.

أولا - عقيدة المرادي.. تحصيلا وإنتاجا:

إن المرادي محمد بن الحسن الحضرمي (ت489هـ/1095م) في مراحل تعليمه وتلقيه العلوم كان لا بد له من الأخذ عن من كان لهم تأثيرهم وعائدهم، إلا أن المصادر التي ترجمت لم تذكرهم كلامهم، بل اكتفت بذكر أستاذين هما أبا مروان عبد الملك بن سراج وأبا القاسم عبد الرحمن القصديري، إلا أن مع القراءة والاجتهاد في البحث تم إبتدراك شيوخ معاصرين له في مرحلة التكوين العلمي احتمال إمكانية استفادته منهم.

1 - شيوخ المرادي:

-أبو مروان عبد الملك بن سراج بن عبد الملك بن محمد بن سراج (ت489هـ)⁽¹⁾: مولى بني أمية إمام اللغة بالأندلس، روى عن أبيه وعن القاضي يونس بن عبد الله وعن أبي القاسم إبراهيم بن محمد بن زكريا الاقليلي، وأبي سهل الحراني،

(1) ترجمته متعددة المصادر: أبو الحسن علي بن موسى ابن سعيد حجي (ت685هـ): المغرب في حلى المغرب، تح: شوقي ضيف، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1964م، ج1، ص115-116؛ وأبو الوفاء إبراهيم ابن فرحون (ت799هـ): الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح: مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م، ص257؛ وأبو جعفر أحمد بن يحيى الضبي (ت599هـ): بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب المصري، القاهرة: دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989م، ج2، ص494؛ وأبو عبد الله محمد الذهبي (ت748هـ): سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط، ط1، منشورات مؤسسة الرسالة، بيروت، 1984م، ج19، ص133-134.

وأبي محمد مكي بن أبي طالب المقرئ، وأبي محمد الشحتالي وأبي عمرو السفاقي... وغيرهم⁽¹⁾. فبعد وفاة سراج بن عبد الملك بن محمد بن سراج الأموي في شوال سنة 456هـ خلف سؤده وسدمكانه ابنه أبو مروان إمام الأندلس في وقته وفي علم لسان العرب وضبط لغاتها، وأن كدهم لشوارد شعرها، وأوثقهم في ذلك وإليه كانت الرحلة في جميع جهات الأندلس، واحتاج الكثير من شيوخه إلى الأخذ عنه⁽²⁾.

ويقول ابن بشكوال صاحب الصلة: "وذكره شيخنا أبو الحسن بن مغيث فقال: كان أبو مروان من بيت خير وفضل من مشاهير الموالي بالأندلس، عندهم من الخلفاء آثار كريمة قديمة اختلفت إليه كثيرا، ولازمته طويلا، وكان واسع المعرفة، حافل الرواية، بحر علم، عالما بالتفاسير ومعاني القرآن، ومعاني الحديث، أحفظ الناس للسان العرب، وأصدقهم فيما يحمله، وأقومهم بالعربية والأشعار والأخبار والأنساب والأيام، عنده يسقط حفظ الحفاظ، ودونه يكون علم العلماء فاق الناس في وقته، وكان حسنة من حسنات الزمان، وبقيت من الأشراف والأعيان". وبعلمه ومكانته هذه اختلف إليه المرادي في سماع التبصرة لمكي بن أبي طالب⁽³⁾.

-أبو القاسم عبد الرحمن بن عمر بن محمد اللغوي القصديري: وهو الشيخ الثاني الذي صرحت به المصادر بعد أبي مروان بن سراج الذي سكن المهديّة، وقد قرأ

(1) أبو القاسم خلف بن بشكوال (ت578هـ): الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم، حققه وضبط نصه وعلق عليه: بشار عواد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2010م، مج1، ص ص 459-460.

(2) أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي (ت544هـ): ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تح: سعيد أحمد أعراب، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1989م، ج8، ص141.

(3) ابن بشكوال: الصلة، مج1، ص460.

على شيوخ إفريقية. وألف في **بدعة الخاطر ومتعة الناظر** في المكاتبات الجارية نظرا ونثرا⁽¹⁾.

وقد حكى ابن بشكوال عن أبي العباس الكناني أن المرادي قرأ اللّغة على أبي القاسم القصديري من خلال كتاب **فقه اللّغة** لأبي منصور الثعالبي رواية عن أبي بكر محمد علي بن الحسن بن عبد البر التميمي عن أبي محمد اسماعيل بن محمد بن عبد ربه النيسابوري عن الثعالبي⁽²⁾.

-**أبو الطيب عبد المنعم بن إبراهيم الكندي** (ت495هـ): القيرواني المعروف بابن بنت خلدون، وهو ابن أخت أبي علي خلدون السهمي، وكان له علم بالأصول، وحذق بالفقه والنظر، وحكى عنه بعض شيوخ الإفريقيين أنه كان يقول: دخلت عليه، فوجدته كان ينظر في اثنتي عشر علما. وذكره بعض العلماء فقال: كان قدوة في العلم والدين، ورأيت أهل فقهه قد سألوه في مسألة يرونها بقولهم: **إنّ الله من علينا -معشر المسلمين - بأنّ جعلك تقتدي به، راسخا في العلوم نزرع إليه.**

وله تعليق على **المدونة مفيد**. ألف كتاب **النكت والفروق لمسائل المدونة***، وهو أول ما ألف، وهو مفضل عن الناشئين من حذاق الطلبة. وألف أيضا كتابه الكبير في شرح **المدونة المسمى** بتهديب الطالب وله فيه على كتاب النكت، وله **إستدراك على اختصار البراذعي**، كما له عقيدة رويت عنه، وأيضاً جزء في ضبط ألفاظ **المدونة**⁽³⁾.

(1) أبو الفضل عبد الرحمن السيوطي (ت911هـ): بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: أبو الفضل محمد إبراهيم، ط1، منشورات مطبعة عيسى الباجي الحلبي وشركاؤه، القاهرة، 1965م، ج2، ص85.

(2) ابن بشكوال: المصدر السابق، مج2، ص243.

* يقال إنه ندم على تأليفه، ورجع عن كثير من اختياراته وتعليقاته فيه، واستدرك كثيرا من كلامه فيه، وقال: لو قدرت على جمعه وإخفائه لفعلت أو نحو هذا.

(3) عياض: ترتيب المدارك، ج8، صص66-67؛ وأبو زيد عبد الرحمن بن محمد الدباغ (ت699هـ): معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، أكمله وعلق عليه: أبو الفضل التتوخي، تحقيق وتعليق: محمد ماضود، منشورات المكتبة العتيقة، تونس، 1904، ج3، ص184؛ وأبو الفضل محمد مخلوف (حي سنة 1350هـ): شجرة النور الزكية

- أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت440هـ): المعروف بالليبي القيرواني، من مشاهير علماء إفريقية، ومؤلفيها وعبادها، تفقه بأبي محمد بن أبي زيد، وأبي الحسن القابسي، وسمع من شيوخ إفريقية، وعباد القيروان، وسمع الشيخ الفاضل أبا إسحاق الجنباني وانتفع به⁽¹⁾. ووجهه أبو الحسن القابسي لتفقيه أهل المهديّة، وامتد عمره بعد أقرانه، فحاز رئاسة العلم والتشريح به بالقيروان، فكان فقيها فاضلا، زكيا، محبا في الصالحين، ويزودهم في السواحل ويبحث عن مناقبهم وأحوالهم.

وهو الذي ألف مناقب الشيخ أبي إسحاق الجنباني ونفعه الله تعالى بخدمة الصالحين، وله في الفقه كتاب كبير جمع فيه من النوادر لأبي محمد بن زيد وموطأ مالك وغيره، فجمع فيه مذهب مالك كله⁽²⁾.

- أبو إسحاق إبراهيم بن حسن التونسي (ت443هـ): الجليل الفاضل العالم، الإمام الصالح المنقبض، المتبتل، تفقه بأبي بكر بن عبد الرحمن وأبي عمران الفاسي وطبقتهم، ودرس الفقه والأصول على الأزدي. وكان مدرسا بالقيروان، مشاورا فيها مع بقية المشيخة قبل الفتنة كأبي القاسم الليبي وغيره، وبه تفقه جماعة من الإفريقيين. وله شروح حسنة وتعاليم مستعملة متنافس فيها على كتاب ابن المواز وعلى كتب المدونة⁽³⁾، وقد جاء ذكره في معالم الإيمان فيقول: "كان فقيها صالحا، موصوفا بالفهم، مقدما في أجوبته، من أهل النسك والإرادة، ومحبة الصالحين، مستجاب الدعوة، وله براهين ومناقب حسنة، قرأ القراءات وأجاز بها، وقرأ الفقه البارع والنحو، وفي كلامه

في طبقات المالكية، خرج حواشيه وعلق عليه: عبد المجيد الخيالي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ج1، ص160.

(1) ابن فرحون: الديباج المذهب، ص ص248-249.

(2) أبو زيد الدباغ: معالم الإيمان، ج3، ص175.

(3) عياض: المصدر السابق، ج8، ص ص58-59.

بتر؛ لكونه كان متكلماً في أصول الدين يميل إلى النظر عارفاً بالحديث ووجهه بذلك، وكان نشأ في العلم، ومات عليه⁽¹⁾.

- أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت 444هـ): الأموي المقرئ، المعروف بابن الصيرفي القرطبي، طلب علم القراءات فرأس فيه، وقرأ وسمع الكثير، وألف فيها وفي طبقات رجالها توالي مشهورة كثيرة، فمن تصانيفه: **المتع والتيسير في القراءات السبع*** و**جامع البيان في القراءات السبع**، ومفردات القراءات السبع، وتفسير كبير وطبقات القراءات وفهرست، وكان القراء خاضعون لتصانيفه⁽²⁾.

- أبو القاسم عبد الرحمن بن محرز (ت 450هـ): القيرواني، وكان فقيهاً نظاراً نبيلاً، ذا رواء حسن، ومروءة تامة، وكان معلوماً بالفقه والفهم والعناية بالحديث ورجاله، رحل إلى المشرق، ولقي المشايخ الجلّة، وأخذ عنهم الحديث، وكان مليح المناظرة، حتّى قال ابن علاّق المصري: "ما رأيت من أهل المغرب من يحسن طريق المناظرة مثل أبي القاسم بن محرز"⁽³⁾.

ويمكن ترجيح جماعة من المشايخ يمكن أخذ عنهم المرادي في تعليمه لقربهم الزمني ومستواهم العلمي من أمثال ذلك: أبو القاسم عبد الخالق بن عبد الوارث السيوري (ت 460هـ) له تعليق على نكت المدونة⁽⁴⁾، وأيضاً أبو محمد عبد الحق محمد بن هارون التميمي (ت 466هـ) القرطبي الذي له تصانيف حسنة منها: تعليق على

(1) الدباغ: المصدر السابق، ص 177.

* أبو بكر محمد ابن خير الإشبيلي (ت 575هـ): الفهرست، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة: دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989م، ص 43.

(2) ابن فرحون: الديباج المذهب، ص 288؛ والضبي: بغية الملتبس، ج 2، ص 538؛ ومحمد مخلوف: شجرة النور الزكية، ج 1، ص 171.

(3) عياض: ترتيب المدارك، ج 8، ص 68؛ والدباغ: معالم الإيمان، ج 3، ص 185.

(4) أنظر: عياض: المصدر السابق، ص ص 65-66؛ والدباغ: المصدر السابق، ص ص 182-183.

المدونة سماه التبصرة وكتابه الكبير المسمى القصد والإيجاز⁽¹⁾، وأبو حفص عمر بن أبي الطيب (ت ق 5هـ) المعروف بابن العطار القيرواني فله تعليق على المدونة⁽²⁾، بالإضافة إلى أبي بكر عتيق السوسي (ت ق 5هـ) من الفقهاء المبرزين والحفاظ المعدودين⁽³⁾.

إذن هؤلاء يمثلون فئة الشيوخ الذين أخذ عنهم المرادي في مرحلة التلقي والذي تداولت رحلاته بين المغرب والأندلس، فاستفاد منهم.

وبعد أن كان تلميذا فتلقى مختلف العلوم عن مجموعة من الشيوخ والأساتذة، انتقل بدوره هو الآخر بمثابة أستاذ، فتتلمذ على يده عدة مفكرين كان لهم فيما بعد مستواهم العلمي والثقافي، وذلك لما بلغه من علم وعقيدة.

2- تلاميذ المرادي:

وقد كان من بين تلاميذه ابنه أبو الحسن علي بن محمد بن الحسن الحضرمي، يعرف بابن المرادي روى عن أبيه الأصول، وعن أبي علي الصدفي⁽⁴⁾، كان فقيها حافظا للمسائل مشاورا بغرناطة⁽⁵⁾. ويصفه ابن عبد الملك أنه: "كان محدثا فقيها، ذا

(1) عياض: المصدر السابق، ص ص 71-74.

(2) ترجم له: عياض: المصدر السابق، ص ص 67-68؛ والدباغ: معالم الإيمان، ج3، ص 164؛ ومحمد مخلوف شجرة النور، ج1، ص159.

(3) الدباغ: المصدر السابق، ص 177؛ وعياض: المصدر السابق، ص 68؛ ومحمد مخلوف شجرة النور، ج1، ص159.

(4) أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت748هـ): المستلمح من كتاب التكملة، تح وتبع: بشار عواد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2008، ص306.

(5) أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير (ت708هـ): صلة الصلة، تح: شريف أبو العلا العدوي، ط1، منشورات مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008، مج3، ص261.

حظ من الأدب وقرض الشعر"⁽¹⁾. وقد ولي القضاء لأبي عمران بن حماد ببعض جهاتها⁽²⁾.

- أبو حفص عمر بن خطاب بن يوسف بن هلال (ت 501هـ): ابن المرادي، البطليوسي، روى عن أبيه وعن أبي بكر بن الحسن المرادي وغيرهما. كان معلم عربية، درسها مدة بإشبيلية ثم تحول إلى شريش، له برنامج ضمنه ذكر شيوخه⁽³⁾.

- أبو الحجاج يوسف بن موسى الكلي المتكلم النحوي الضرير (ت 520هـ): كان آخر أئمة أهل المغرب فيما أخذه عن أبي بكر المرادي من علوم الإعتقادات، فبعد موته خلفه في هاته العلوم⁽⁴⁾.

- أبو محمد عبد الوهاب عبد الله بن عبد العزيز الصدفي (ت 521هـ): من أهل قرطبة، سمع جماعة من شيوخ قرطبة، ولقي أبا بكر المرادي فأخذ عنه، وقد تفقه عند أبي الوليد بن رشد القاضي. كان مواظبا لمجلسه، وكان حافظا للفقهاء، ذاكرا للمسائل والفرائض والأصول، كثير العناية بالعلم والجمع له، مع خير وانقباض⁽⁵⁾.

- أبو محمد بن عبد العزيز بن الحسن بن سعيد بن عسكر الحضرمي الميورقي (ت 526هـ): المحدث الفقيه، سكن قرطبة، سمع من أبي العباس العذري صحيح مسلم وأجاز له، ومن أبي بكر المرادي أرجوزته وغيرهما، وسمع من أبي الحسن اللخمي

(1) أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك المراكشي (ت 703هـ): الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، حققه وعلق عليه: إحسان عباس ومحمد بن شريفة، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2012م، مج3، ص05، ص253.

(2) ابن الزبير: المصدر السابق، ص253.

(3) ترجمته متعددة المصادر: ابن عبد الملك: المصدر السابق، مج3، ص ص 370-371؛ وابن الزبير: المصدر السابق، ص238؛ وأبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي ابن الأبار (ت 658هـ): التكملة لكتاب الصلة، حققه وضبط نصه وعلق عليه: بشار عواد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2011م، مج3، ص298.

(4) أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي (ت 617هـ): التشوف إلى رجال التصوف، تح: أحمد التوفيق، ط1، منشورات كلية آداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1997م، ص331.

(5) ابن بشكوال: الصلة، مج1، ص ص 481-482.

كتاب **التبصرة** من تأليفه وقد أخذ عنه⁽¹⁾، ويروى عنه بالإجازة محمد بن عبد الرحيم وغيره⁽²⁾.

- **أبو الحسن علي بن محمد بن خلف الأنصاري النحوي** (ت528هـ): من أهل غرناطة، المقرئ النحوي، المعروف بابن البيذش، شيخ مقرئها، ورواتها في علم القرآن والحديث والآداب والأصول والضبط للحديث، والقراءات واللغات، والإتقان في ذلك، والمقدم في محدثها المتقنين ونحاتها المبرزين، وأخذ الفضلاء الصالحين المتقنين في المعارف⁽³⁾. سمع منه الناس كثيرا، فيقول ابن بشكوال كتب إلينا بإجازة ما رواه بخطه⁽⁴⁾، فدرس الأصول المرادي. وألف في النحو كتبا كثيرة منها كتاب **سيبويه** وكتاب **المقتضب**⁽⁵⁾.

- **أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز بن زغبة الكلابي** (ت528هـ): القاضي الفقيه المحدث⁽⁶⁾، كان ذاكرة للمسائل، عارفا بالنوازل حاذقا بالفتوى، فيقول ابن بشكوال أنه كتب إليه بإجازة مارواه مرة⁽⁷⁾.

- **أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الرحمن بن خمير**: من أهل دانية، سمع من أبي داود المقرئ كتاب أبي بكر بن عزيز وغيره بدانية، وبها لقيه أبو الحسن بن هذيل

(1) ابن بشكوال: الصلة، مج1، ص471.

(2) الضبي: بغية الملتمس، ج2، ص500؛ وابن الزبير: المصدر السابق، ص175.

(3) عياض: الغنية، فهرسة شيوخه، تح: ماهر زهير جارا، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982م، ص174.

(4) ابن بشكوال: المصدر السابق، مج2، ص43.

(5) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الخطيب الغرناطي (ت776هـ): الإحاطة في أخبار غرناطة، حقق نصه ووضع مقدمته وحواشيه: محمد عبد الله العنان، ط1، منشورات مكتبة الخانجي، القاهرة، 1977م، ج4، ص100-101.

(6) الضبي: المصدر السابق، ج1، ص139.

(7) ابن بشكوال: المصدر السابق، مج2، ص315.

قديمًا، وأخذ عنه كتاب الإنباه في وجوب أجره القضاء للمرادي حدث به عنه، فكان مقيدًا ضابطًا حسن الخط⁽¹⁾.

- أبو مروان عبد الملك بن خلف بن معروف اللخمي: روى عن المرادي وأبي الوليد الباجي وغيرهما⁽²⁾.

- أبو الحسن علي بن محمد بن سعيد القيسي (ت530هـ): المقرئ الشهيد يعرف بالباغي سكن إشبيلية، أقرأ وحدث⁽³⁾. وكان إمامًا في صلاة الفريضة بمسجد ابن بشير، أخذ عنه أبو عبد الله النميري، وأبو بكر بن خير سمع منه وأجازه⁽⁴⁾.

- أبو الوليد هشام بن أحمد بن هشام الهلالي (ت530هـ): يعرف بابن بقوى، من أهل غرناطة، سكن المريّة، وسمع من عامة شيوخها. وكان خروجه من المريّة بعد سنة ثمانين وأربعمائة وسكن غرناطة، وولي الأحكام بهامة وبغيرها من جهاتها⁽⁵⁾.
لقي أبا بكر المرادي وهو الذي عنى أبا بكر المرادي في قصيدة لابن صمادح بقوله:
هَلَّا سَأَلْتَ أَبَا الْوَلِيدِ فَتَحَتَّ أَخْمَصَةُ الْوَلِيدِ⁽⁶⁾.

- أبو العباس الكناني (ت ق6/12م): قال: حدثني مشافهة بكتاب فقه اللغة لأبي منصور الثعالبي عن أبي القاسم عبد الرحمن بن عمر بن محمد التميمي القصديري عن أبي بكر محمد بن علي بن الحسين بن عبد البر التميمي عن أبي محمد اسماعيل بن محمد بن عبدوس النيسابوري عن الثعالبي.

(1) ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلاة، مج1، ص ص252-253.

(2) ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، مج3، ص ص12-13.

(3) الذهبي: المستلمح من كتاب التكملة، ص303.

(4) ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلاة، مج3، ص339.

(5) ابن بشكوال: الصلاة، مج2، ص300؛ وأبو العباس أحمد بن محمد القرشي (ت1041هـ): أزهار الرياض في

أخبار عياض، ضبطه وحققه وعلق عليه: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، مطبعة لجنة القاهرة، 1942م، ج3، ص ص154-155.

(6) عياض: الغنية، ص ص219-220.

- أبو عبد الله محمد بن خلف بن موسى الأنصاري الألبيري (ت 537هـ): المتكلم سكن قرطبة، أخذ علم الكلام عن المرادي وأبي الحجاج بن موسى الضرير، تأدب في بعض مسائل النحو بأبي القاسم بن خلف بن يوسف بن فرتون بن الأبرش. كان متكلماً، واقفاً على مذاهب المتكلمين برأي الأشعرية، ذكراً لكتب الأصول والإعتقادات، مشاركاً في الأدب، مقدماً في الطب⁽¹⁾. ألف كتاب شرح مشكل ما وقع في الموطأ وصحيح البخاري وقد شرع في تصنيفه عام ثمانين وعشر وسماية في شوال منه، وبلغ في الكلام فيه إلى التكملة الرابعة والخمسين وقطعت به قواطع المرض⁽²⁾. وله تآليف كثيرة أيضاً منها: كتاب الإفصاح والبيان في الكلام على القرآن، وكتاب الفصول إلى معرفة الله ونبوة الرسول صلى الله عليه وسلم، ورسالة البيان في حقيقة الإيمان. وفي الرد على أبي الوليد بن رشد في مسألة الإستواء الواقعة في الجزء الأول من مقدماته⁽³⁾.

- أبو عبد الله محمد بن مروان بن يونس (ت 542هـ): ابن الأديب، من أهل لرية وسكن بلنسية، سمع من أبي بكر بن العربي وطارق بن يعيش وغيرها. كان حسن الوراقة معروفاً بذلك، وكتب بخطه علماً كثيراً وولاه القاضي مروان بن عبد العزيز خطة السوق، أخذ عنه ابن عياد، كتب من فوائده عقيدة أبي بكر المرادي وأشعار لابن العربي وغير ذلك⁽⁴⁾. وهكذا تخرج على يد أبي بكر المرادي عدداً مهماً من الطلبة والتلاميذ فشكروا من قربهم منه ومصاحبته وحضورهم لمجالسه العلمية مدرسة تطلق عليها المدرسة المرادية، فصاروا علماء يشار إليهم بالبنان.

(1) ابن الخطيب الغرناطي: الإحاطة في أخبار غرناطة، مج3، ص165.

(2) ابن الخطيب الغرناطي: الإحاطة في أخبار غرناطة، مج3، ص166.

(3) ابن فرحون: الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، دراسة وتحقيق: مأمون بن محي الدين الجنان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م، ص403.

(4) ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلاة، مج2، ص139-140.

ثانيا - الأشعرية كخيار عقدي للسلطة السياسية المرابطية:

لقد تجاوز مفكرو القرن الخامس الهجري قضايا الصراع السياسي بين المرابطين ورجال الحديث من جهة، وأهل الفكر الإعتزالي في المسائل الكلامية والإعتقادية من جهة أخرى، وبدأت تظهر للوجود في الفضاء الفكري بالغرب الإسلامي نماذج معاصرة للمشروع السياسي والفكري المرابطي لهم إسهامات في الدفاع عن الإتجاه السني بمنطق جديد من ذلك المرادي الحضرمي.

1 - الحضور السياسي للمرادي:

كان لابد عند الكلام عن المرادي هو الوقوف للحديث عن شخصية حاسمة بارزة في تاريخ المرابطين ألا وهي شخصية عبد الله بن ياسين لإعتبارات سياسية وعلمية أثرت في حياة أبي بكر المرادي وفكره من خلال علاقته بالمرابطين.

فلما أفضت الرياسة إلى يحيى بن إبراهيم الكندالي وكان له صهر في بني ورثا فطن هؤلاء، وتظاهروا على أمرهم وخرج يحيى بن إبراهيم لقضائه فرصة في رؤساء من قومه في سنة أربعين وأربع مئة علقوا في منصرفهم بالقيروان شيخ المالكية أبا عمران الفاسي واغتموا ما تمتعوا به من هديه، وما شافهم به من فروض أعيانهم من فتاويه، وسأله يحيى أن يصحبهم من تلميذه من يرجعون إليه في نوازلهم وقضايا دينهم.

فندب إلى تلميذه ذلك حرصا على إيصال الخبر إليهم لما رأى من رغبتهم فيه، فاستوعروا مسبغة بلادهم، وكتب لهم الفقيه أبو عمران إلى الفقيه محمد وكاك ابن زلو المرابطي بسجلماسة من الأخذ عنه، وعهد إليه أن يلتمس لهم من يثق بدينه وفقهه ويروض نفسه على مسبغة أرضهم في معاشه، طبعت معهم عبد الله بن ياسين بن مكو الجزولي، ووصل معهم يعلمهم القرآن واستمتعوا عمله، وتركوا الأخذ عنه لما تجشموا

فيه من مشاق التكليف فأعرض عنهم، وترهب وتتنسك معه يحيى بن عمر من رؤساء لمتونة وأخوه أبو بكر فدخلوا في دينهم⁽¹⁾.

ثم دعاهم إلى جهاد من خالفهم، فبدأ بقبيلة كدالة ثم سار إلى قبائل لمتونة ثم سار إلى قبائل مسوفة، وأخذ يركب الجيوش ويشترى السلاح ويغزو القبائل حتى ملك جميع الصحراء وجعلها فيئا للمرابطين، وبلاد المصامدة وسائر بلاد المغرب⁽²⁾، فهلك يحيى بن إبراهيم سنة سبع وأربعين وقدم مكانه أخاه أبا بكر وندب المرابطين فتح المغرب، ثم دعا المرابطين إلى جهاد برغواطة فكانت لهم فيه وقائع.

وأيام استشهد عبد الله بن ياسين في بعضها سنة خمسين وأربعمائة، وقد أم المرابطين بعده سليمان بن عدو ليرجعوا إليه في قضايا دينهم، واستمر أبو بكر بن عمر في إمارة قومه على جهادهم ثم استأصل شأفتهم، ومحا أثر دعوتهم من المغرب، وهلك في جهادهم سليمان بن عدو سنة إحدى وأربعمائة لسنة من وفاة عبد الله بن ياسين⁽³⁾.

وهكذا سيظل منصب الفقيه شاغرا لمدة سنتين إلى حدود ثلاث وخمسين وأربعمائة وخمسن، وفي هذا السياق وفي هذا التاريخ سيظهر على الساحة الإمام الحضرمي القرواني أبو بكر محمد بن الحسن المرادي.

(1) أبو زيد عبد الرحمان بن خلدون الحضرمي (ت808هـ): تاريخ ابن خلدون؛ ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: خليل شحادة؛ سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000، ج06، ص ص 242-243؛ ومؤلف مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح: سهيل زكار وعبد القادر رمامة، ط1، دار الرشاد الحديثية، الرباط، 1919، ص ص 19-23.

(2) أبو الحسن علي بن أبي زرع الفاسي (ت726هـ): الأنيب المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور، الرباط، 1972، ص ص 125، ص 126.

(3) ابن خلدون: المصدر السابق، ص 244.

فكان من الفقهاء الأصوليين الذي قربه أبو بكر عمر مؤسس دولة المرابطين بأغمات بعد وفاة عبد الله بن ياسين⁽¹⁾.

وفي هذا الصدد يقول ابن بسام صاحب الذخيرة: "تقلب أبو بكر بين السهول والحزون تقلب الميل بين أطباق الجفون، وتلت دولة من دول ملوك الطوائف بالأندلس وقد ابتغى إليها وسيلة، وأعمل على الهجوم عليها حالا وحيلة، ففتزوي عن مكانه إنزواء الخائف من الرهد، وتخص بإحسانه غصص العين بالرمد، ثم كر إلى أمراء المرابطين بالمغرب فانخرط في أسلاكهم، وعرض بنفسه على أملاكهم، ووقع آخرا منهم إلى محمد بن يحيى بن عمر، فاقتعد صهوة منبره وولي قضاء معسكره، وأخذ ينجد ويغور، وطفق يدبر ويدير، وإنما أراد أن يسلك في حمل دول المرابطين مسلك عبد الله بن ياسين⁽²⁾.

فإن علاقته بالجهاز السياسي والدعوة للمرابطين كانت منذ بداية الدعوة حيث صاحب الأمير المرابطي إلى الصحراء لنشر الإسلام بين التجمعات الوثنية واستجابة للدعوة الإسلامية التي تلقاها في حلقة عبد الله بن ياسين الجزولي، وتكاد المصادر الإسلامية تغفل شخصية هذا الأمير المجاهد الذي ارتبط به المفكر والفقهاء الأصولي أبو بكر⁽³⁾، الذي عندما توجه أبو بكر بن عمر إلى الصحراء حمله وولاه القضاء بأزكي⁽⁴⁾.

(1) أبو يعقوب بن يحيى التادلي (ت617هـ): التشوف إلى رجال التصوف، تح: أحمد التوفيق، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1997، ص 106.

(2) أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت542هـ): الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، ط1، دار الثقافة، بيروت، 1979، ق04، مج01، ص364.

(3) محمد الأمين بلغيث: النظرة السياسية عند المرادي وأثرها في المغرب والأندلس، دار الثقافة، الجزائر، 2014، ص88.

(4) ابن الزيات التادلي: التشوف، ص106.

ولما وصل المرادي إلى المغرب الأقصى وجد سلطته السياسية قائمة، ذات طموحات توحيدية قد أخذت تتوحد، حيث ما كادت تصل سنة 1068هـ/460م حتى استقامت الإمارة للأمير أبي بكر محمد بن يحيى بن عمر، وطاعت له البلاد ووجه عماله إليها⁽¹⁾.

فألف المرادي كتابا ودستورا يدعو إلى معالم الأمور، إذ أنه كما ذهب إلى ذلك كثير من الدارسين أن الأمير أبا بكر بن عمر طلب منه كتابته ليكون دستوراً له وللمرابطين من بعده، وقد رأى الحاجة الماسة له، حتى يعرف أسرار السياسة، وليوضح له فيه ضرورة السلطة وعلاقتها بالسياسة الشرعية.

وسمى كتابه هذا **الإشارة في تدبير الإمارة** وهناك من يطلق عليه اسم **آخر هو السياسة** فقسم الكتاب على ما فيه من الآداب فكانت ثلاثين باباً أولها باب في الحض على القراءة والتعلم ثم في آداب النظر والتفهم ثم في الإستشارة وصفة المستشار ثم باب في المعيشة وسياسة الأجسام إنتهاءً بالباب الثلاثين جامع الفتوى والحكم والآداب.

فيقول المرادي: "نظمت في هذا الكتاب درراً من آداب الإمارة والوزارة وفصلت ثنياه فصولاً من أنواع الإدارة والإستشارة، واصفة لآداب المتقدمين، كاشفة لأمر الدنيا والدين"⁽²⁾. ليكون منهاجاً لهم في الحكم وعلى نسق الأوراد اليومية أو الدساتير القانونية ليلزم به الحاكم المسلم المرابطي في يومه وشهره حتى يدرك الحلول اللازمة للمستجدات السياسية والعسكرية.

ويمكن القول فيها أنها كانت محاولة أولية لترسيم الفكر الأشعري، فرغم الخلاف من حيث التوجه العقدي والفروعي لبعض علماء الزمن المرابطي، إلا أن الكثير وقف

(1) بلغيث محمد الأمين: المرجع السابق، ص 89.

(2) أبو بكر محمد بن الحسن المرادي الحضرمي (ت489هـ): كتاب السياسة أو الإشارة في تدبير الإمارة، تح: محمد حسن محمد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزيدي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، ص16، ص 18.

بجانبيها، فأبو عمران الفاسي أعلن الفكرة وتحرك لتأسيس المشروع فأبي بكر المرادي وتلاميذه من بعده عملوا من أجل إرساء العقيدة الأشعرية بالمغرب.

كان المرادي قد نشأ في جو شهد صراع عقدي وفكري في مواجهات وتحديات بين فئة محافظة على طريقة السلف استعصت باب الجدل الكلامي، ومحاولات تصحيح علوم العقيدة وبين أنصار التجديد الديني والعقدي الداعين إلى إحكام للعقل والنقل، فكان هو من أنصار هذا الإتجاه الأخير، فألف كتابه العقيدة.

2- العقيدة المرادية:

فقد جاء وصفه في كتاب **التشوف** أنه "هو من أدخل علوم الاعتقادات* بالمغرب الأقصى"⁽¹⁾، ويصفه ابن بسام: "كان أبو بكر فقيها فطنا، وشاعرا لسنا، ممن جمع براعة الفقهاء وبراعة الشعراء النبهاء، وتصرف تصرف المطبوعين، وتكلم باللسنة المجيدين..."⁽²⁾. وقال أبو العباس الكنايني: دخل قرطبة سنة سبع وثمانين وأربعمائة رجل من القرويين إسمه محمد بن الحسن الحضرمي يكنى أبا بكر، ويشهر بالمرادي، له نهوض في علم الاعتقادات والأصول، ومشاركة في الأدب، وقرض الشعر⁽³⁾. وأيضا وصفه ابنه أبو الحسن المقرئ بأنه رجلا نبيها، عالما بالفقه، وإماما بأصول الدين، وله في ذلك تواليف حسان مفيدة، وكان مع ذلك ذا حظ وافر من البلاغة والفصاحة⁽⁴⁾.

* علما أن علوم الاعتقادات كانت تعني في هذه الفترة علم الكلام الأشعري في مقابل أصول الديانة التي كانت تعني معتقد أهل التسليم والتفويض.

(1) ابن الزيات التادلي: التشوف، ص106.

(2) ابن بسام: النخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق4، مج1، ص364.

(3) ابن بشكوال: الصلة، مج2، ص ص242-243؛ وأبو الفضل بن محمد العباس ابن إبراهيم السملالي التعارجي

(ت1378ه): الإعلام بمن حل مراكز وأغامت من الأعلام، مر: عبد الوهاب بن منصور، منشورات المطبعة

الملكية، الرباط، 1993م، ج4، ص12.

(4) ابن بشكوال: المصدر نفسه، ص242.

ومن هنا فلم يكن غريباً أن ينظر بحذر وتوجس إلى مفكر مثل المرادي الذي أعلن تبنيه للفكر الأشعري، واعتماده الكامل على أساليب المتكلمين ومناصبهم في مناقشة قضايا العقيدة، بل إنَّ خطورة المرادي لم تكن عادية، ولكنها كانت أكبر، لأنه لم يكتف بالدعوة إلى ما يعتقد بالقول الشخصي، وإنما عزز ذلك بتأليف عقدي؛ خالف فيه ما سار عليه شيوخ السنة والسلف الأندلسيون فكان كتابه المسمى بالعقيدة⁽¹⁾.

حيث قسم عقيدته إلى خمسة عشر باب:

فاستهل في الباب الأول الحديث عن معرفة أقسام العبادة، ثمَّ الباب الثاني تعلق الحديث فيه عن أول الواجبات وما يجب كون الخالق عليه من الصفات.

أما في الباب الثالث كان موضوعه الرسالة، ثمَّ الباب الرابع عاد للحديث عن الصفات، ثمَّ ليكون الباب الخامس معنون بأسماء الله الحسنى فيليه الباب السادس عنونه بمعنى الإستواء، فالباب السابع انتقل لحديث فيه عن المتشابهات وخصص الباب الثامن للجائزات.

فانفرد بالباب التاسع لموضوع خلق الأفعال، أما الباب العاشر جاء خاصاً بالقدر، عالجه من خلال ثلاثة فصول: الأول بين فيه أن الميت يموت بأجله، الذي لم يكن له غيره، والثاني أوضح فيه أن المخلوق ينتفع برزقه، أما الثالث أكد فيه أن الأسعار كلها جارية بإذن الله تعالى.

وتعلق الحديث في الباب الحادي عشر عن ألفاظ "الإسلام" و"الإيمان" و"الكفر" ثمَّ الباب الثاني عشر خصص لموضوع التوبة، فانتقل إلى قضية الوعد والوعيد في الباب الثالث عشر ثمَّ تحول الحديث إلى الإعادة وابتداء الآخرة في الباب الرابع عشر،

(1) المرادي: العقيدة، تح وبق: جمال علال البختي، ط1، دار الأمان، الرباط، 2012، (انظر)

وله كتاب النكت والأمال في النقض على الغزالي ورسالة الانتصار على مذاهب الأئمة الأخيار وشرح مشكل ما في الموطأ والبخاري.

وأخيرا الباب الخامس عشر عالج فيه موضوع الإمامة⁽¹⁾. وكان تأليف هذا الكتاب لم يتولد من فراغ، وإنما كان يهدف به مراجعة تلك الرؤى والتوجيهات الإيديولوجية السائدة بغية التغيير والتصحيح والتطوير.

وباعتبار أن المرادي كان له السبق العلمي والتأليف، وكذلك الريادة العلمية ونظرا لما هو سائد في زمانه، يستنتج من خلال كتابه العقيدة، هذه عدة نقاط سواء في الجانب المنهجي قد تميزت به عقيدته، يمكن تلخيصها كالآتي:

- تتميز عقيدة المرادي بكونها تمثل نقلة نوعية في الدرس العقدي بالأندلس والمغرب خلال القرن الرابع وبداية القرن الخامس الهجريين، فقد كان نص محكم البناء، عمد إلى البحث في المواضيع العقدية بالطريقة الشمولية والدقة والنسقية.

- فقد تحدى هذا المفكر الجو العام السائد في البلاد آنذاك إذ كان التصريح بالمخالفة للمواقف السلفية مبدعا لإذابة صاحبه ونبذه ومحاربه⁽²⁾.

- ومع ذلك فقد اقتحم عالم الكلام وفتح بابه على مصراعيه ناقلا جل - إن لم نقل كل - المضامين الأشعرية التي انتهى إليها البحث في المشرق الإسلامي على عهده، معلنا اقتناعه التام بتلك المضامين ومواجهها بطريقة لا موارد فيها الفكر الرسمي السائد الذي كانت تحميه السلطة السياسية بما فيها السلطة المرابطية (رغم استلهاها من فكر ابن ياسين ووجاج الذين تخرجوا من مدرسة أبي عمران الفاسي أستاذ الأشاعرة بإفريقية وتلميذ الباقلاني).

- كما كانت عقيدته منظومة نسقية محكمة تنصهر داخلها جملة من الأفكار والمضامين والمعاني وتترابط، ويوجهها منهج معين يعتمد النص والعقل معا، معتمدا

(1) انظر: المرادي، العقيدة.

(2) المرادي: المصدر السابق، ص 149.

أساليب حجاجية تتبنى العقيدة في حقل الكلام من استدلالات عقلية وقواعد فكرية، مع الاستفادة مما توصل إليه الفكر الأندلسي في البحوث الطبيعية، لإثبات الدعاوي الميتافيزيقية، إذ ظهر في عقيدته توظيف النظرية الذرية القائمة على اعتقاد أن العالم مكون من أجزاء لا تتجزأ (من جواهر وأعراض) وعلى أساس هذه النظرية قام يستدل على إثبات وجود الله تعالى وصفاته.

ويضع -كما فعل أشاعرة زمنه- مجموعة من الأفكار والقواعد الأشعرية أسست للمذهب أهم ثوابته منها عقيدة الجواز ونظرية الكلام النفسي.

-وإلى جانب هذا أعلن المرادي موقفه الواضح من الصفات، إذ طرح رأيه المؤيد للخط الذي تبنته مدرسته والمائل إلى إثبات الصفات السبع أو العشر؛ وهي على رأيه قديمة ومعان زائدة على الذات (لا هي هو ولا هي غيرها).

-بالإضافة إلى ذلك ذهب إلى تأويل الصفات الخبرية (لأنها في نظره من المتشابهات) فذلك في نظره أسلم لعوام الناس من الوقوع في التجسيم.

وهذه المواقف المرادية تتسجم مع ما نادى به معاصروه كأبي المظفر الأسفراييني وعبد القادر البغدادي وغيرهما، وتوجه الجويني والغزالي إلى ترسيمها بوصفها ثوابت أشعرية المذهب، وإلى جانب كثير من النظريات المهمة في المذهبية الأشعرية⁽¹⁾.

وختاماً فإن المرادي كان من علماء الكلام المجدين، فعرف بجده واجتهاده في استفادته من شيوخ المغرب والأندلس من ذلك أبو مروان بن سراج وعبد الرحمن القصديري وغيرهما، فأسس بذلك مدرسة مرادية جمعت عدداً مهماً من الطلبة سيكون لهم فيما بعد شغفهم العلمي، فكان غنياً علماً وعقيدة سمح له ذلك أن يظهر على الساحة السياسية إلى جانب الدولة المرابطية الناشئة بمنصب القضاء مؤلفاً في ذلك كتابه

(1) المرادي: عقيدته، ص 149-150.

الإشارة الذي كان بمثابة دستور للمرابطين، هذا ولم يكتف عند هذا الحد بالدعوة بل ألف كتابا على منهاج الأشعرية خالصا في أفكاره ومضامينه العقديّة، فاشتهر وذاع صيته بعلمه وفكره ومؤلفاته هذه.

الفصل الثاني:

المسار العلمي للأشعري.. من الوافد إلى المحلي

أولاً: الباجي والأشعرية الوافدة

1- الرحلة المشرقية الباجية.

2- المصنفات الباجية.

ثانياً: الضرير والأشعرية المحلية

1- الأخذ الأشعري للضرير.

2- العطاء الأشعري للضرير.

سارت المذهبية الأشعرية على يد علمائها الذين عرفوا بتأثيرهم وتأثرهم إلى جانب مصنفاتهم، فمنهم أبو الوليد الباجي وأبو الحجاج الضرير.

أولاً - الباجي والأشعرية الوافدة:

وكان من الذين كانت لهم اليد الطولى في النهوض بالمذهب الأشعري في هذه الفترة الباجي عبر رحلاته الأندلسية والمشرقية خاصة.

1 - الرحلة الباجية المشرقية:

الفقيه المحدث الإمام، المتقدم، المشهور العالم المتكلم سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي الباجي (ت 474هـ/1081م) المالكي الحافظ، من أهل قرطبة، سكن شرق الأندلس⁽¹⁾. نشأ أبو الوليد في بيت علم وصلاح، فأبوه عالم، وأمه فقيهة، وجده لأمه فقيه⁽²⁾. وخاله فقيه ومحدث⁽³⁾، وإخوته صالحون مجاهدون، فلا غرابة من أن يأخذ من علم هؤلاء.

(1) ترجمته متعددة المصادر: عياض: ترتيب المدارك، ج8، ص117؛ والضبي: بغية الملتمس، ج2، ص385؛ والمقري: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988م، مج2، ص67-69. وابن بشكوال: الصلة، مج1، ص276؛ وابن فرحون: الديباج، صص197-200؛ وأبو العباس أحمد بن حسن ابن قنفذ (ت810هـ): كتاب الوفيات، تح: عادل نويهض، ط4، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1983م، ص255.

(2) ينظر في ترجمته: عياض: المصدر السابق، ج7، صص188-191؛ والضبي: المصدر السابق، ج7، ص169؛ ومحمد مخلوف: شجرة النور، ج14، ص165.

(3) ترجم له: ابن بشكوال: الصلة، مج14، صص484-485؛ وبغية الملتمس للضبي، ج2، ص510؛ وعياض: ترتيب المدارك، ج8، ص144؛ والذهبي: سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط، منشورات مؤسسة الرسالة، بيروت، 1984م، ج18، ص179.

وأخذ بالأندلس عن ابن النحوي وأبي الأصبع بن أبي درهم وأبي محمد مكي ومحمد بن إسماعيل بن فورتش وأبي سعيد الجعفري والقاضي يونس بن مغيث⁽¹⁾.

ثم رحل سنة ست وعشرين إلى المشرق، فأقام بالحجاز مع أبي زر عبيد الله بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن عفير الهروي (ت435هـ) المتمذهب بمذهب مالك، أخذ عن جلة من أعلام المذهب كالقاضي ابن القصار (ت398هـ) ونظرائه، قال فيه أبو الوليد الباجي: هو شيخ من أهل المعرفة باللسان، مالكي لا بأس به، سمع عليه بمدينة السلام كتاب الإقناع في القراءات العشرين من تأليفه⁽²⁾.

وقد حج الباجي فيها أربع حجج، وكان يسكن معه بالسراة، ويخدمه ويتصرف له في حوائجه، أخذ عنه علم الحديث لأنه كان إماما فيه، ألف كتابه أحدهما فيمن روى عنه الحديث، اشتمل على نحو ألف ومئة إسم وأزيد من الفقهاء، والآخر فيمن لقيه ولم يأخذ عنه.

قال حاتم بن محمد: كان أبو زر مالكيا، خيرا، فاضلا متقلا من الدنيا، بصيرا بالحديث وعلله وتمييز الرجال⁽³⁾. وأكثر نسخ البخاري الصحيحة بالمغرب إما من رواية الباجي عن أبي زر هذا وإما عن رواية أبي علي الصدفي المشهور بابن سكرة بسنده. وقال أبو الحسن بن تقي المالقي: حدثني شيخي قال: قيل لأبي زر من أين تمذهبت بمذهب مالك ورأي الأشعري مع أنك هروي؟ فقال: قدمت بغداد، وكنت ماشيا مع الدارقطني، وقبل وجهه وعينييه، فلما افترقا قلت قلت: من هذا؟ قال: هذا إمام المسلمين، والذاب عن الدين للقاضي أبو بكر بن الطيب، فمن ذلك الوقت تكررت إليه

(1) عياض: المصدر السابق، ص117.

(2) الضبي: بغية الملتمس، ج2، ص385.

(3) ابن فرحون: الديباج المذهب، ص ص311-312.

وتمذهبت بمذهبه"⁽¹⁾. قال أبو الوليد وسمعت أبا ذر يقول لو صحت الإجازة لبطلت الرحلة"⁽²⁾.

وكان الباجي حريصا على معايشرة غير المالكية من أصحاب المذاهب الأخرى كأبي عبد الله محمد بن علي بن محمد بن محمد الصوري (ت441هـ) يقول فيه الخطيب: "قدم علينا في سنة ثمان عشرة وأربعمائة، فسمع من أبي الحسن بن مخلد ومن بعده، وأقام ببغداد يكتب الحديث، وكان من أحرص الناس عليه، وأكثرهم كتبا له، وأحسنهم معرفة به، ولم يقدم علينا من الغرباء الذين لقيتهم أفهم منه بعلم الحديث، وكان دقيق الخط، صحيح النقل،... وكان مع كثرة طلبه وكتبه صعب المذهب فيما سمعه... كتبت عنه وكتب عني شيئا كثيرا..."⁽³⁾.

كما قد أخذ أيضا عن الشيخ الإمام المفتي بقية المسندين أبي إسحاق إبراهيم بن عمر بن أحمد البرمكي (ت445هـ) البغدادي الحنبلي، برع في المذهب وكان له حلقة للفتوى"⁽⁴⁾. وقد اتصل في المذهب الحنفي بعالمه أبي عبد الله الحسين بن علي بن أحمد الصيمري الحنفي (ت436هـ)، وعن الخطيب يقول: "كتب عنه، وكان صدوقا، وافر العقل، جميل المعاشرة، عارفا بحقوق أهل العلم، حسن العبارة، جيد النظر... وولي قضاء المدائن في أول أمره ثم ولي بأخرة القضاء، ولم يزل يتقلد إلى حين وفاته"⁽⁵⁾.

(1) المقرئ: نفع الطيب، 22، ص ص70-71.

(2) ابن بشكوال: الصلوة، ج2، ص ص70-71.

(3) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت463هـ): تاريخ مدينة السلام، وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها ووارديها، حققه وضبط نصه وعلق عليه: بشار عواد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001، مج4، ص ص172-173.

(4) الذهبي: سير الأعلام، ج17، ص ص605-606.

(5) الخطيب البغدادي: المصدر السابق، مج8، ص634؛ وينظر أيضا: أبو الحسن علي بن الأثير الجزري (ت630هـ): اللباب في تهذيب الأنساب، منشورات مكتبة المنتدى، بغداد، (د.ت)، ج2، ص255؛ والذهبي: سير الأعلام، ج17، ص ص615-616.

ونجد الباجي قد تتلمذ كذلك على أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد بن حسن بن عبد الوهاب بن حسويه الدامغاني (ت478هـ) العلامة البارع، مفتي العراق، قاضي القضاة، كان ذا جلاله وحشمة وافرّة إلى الغاية، ينظر بالقاضي أبي يوسف في زمانه، وفي أولاده أئمة وقضاة تفقه بخراسان، وقدم بغداد شاباً فأخذ عن القدوري، وسمع من القاضي أبي عبد الله الصيمري ومحمد بن علي الصوري وطائفة، وولي القضاء وله خمسين سنة سبع وأربعين⁽¹⁾.

أما بالموصل فقد دخلها الباجي وأقام بها عاماً يدرس على العلامة القاضي أبي جعفر محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد السمناني (ت444هـ) الحنفي في الأصول، وحاز علماً كثيراً، حيث تخرج به في العقليات ولازم ابن الباقلاني حتى برع في علم الكلام وكان من أذكى العالم⁽²⁾. يقول أبو بكر الخطيب: "كتبت عنه وكان ثقة، عالماً فاضلاً، سخياً حسن الكلام، عراقي المذهب، ويعتقد في الأصول مذهب الأشعري، وكان له في داره مجلس نظر، ويحضره الفقهاء ويتكلمون"⁽³⁾.

وله تأليف أخرى منها: كتاب الكبير في المسند الصحيح المخرج على البخاري ومسلم، وكتابه الجامع وكتاب السنة والصفات، وكتاب الدعوات وكتاب فضائل القرآن... وكتاب مسانيد الموطأ... وكتاب فضل مالك بن أنس... وغيرهما.

(1) الذهبي: المصدر السابق، ج18، ص487.

(2) عياض: ترتيب المدارك، ج8، ص118؛ وصلة الصلة لابن الزبير، ص228؛ والمقري: نفع الطيب، ج2، ص71؛ ابن الأثير: اللباب، ج2، ص141؛ الذهبي: السير، ج17، ص652؛ وابن عساكر: تبين كذب المفتري، ص259.

(3) البغدادي: المصدر السابق، مج2، صص217-218.

وقد تتلمذ أيضا على أبي بكر محمد بن المؤمل البغدادي (ت434هـ) المعروف بـغلام الأبهري، أنباري الأصل، قال فيه: إمام لا بأس به⁽¹⁾.

وأیضا على أبي الفضل محمد بن عبيد الله بن أحمد بن محمد بن عمروس البراز (ت452هـ) الإمام الفاضل هو الآخر درس على أبي الحسن بن القصار والقاضي أبي نهر، وحمل عنهما كتبهما، وحمل كتب أبي محمد بن أبي زيد عند إجازة⁽²⁾. يقول صاحب الديباج: "وكان من حفاظ القرآن ومدرسيه، وإليه انتهت الفتيا في الفقه على مذهب مالك في زمانه ببغداد، وكان القاضي الدامغاني يجيز شهادته، فكان فقيها أصوليا، وله تعليق حسن مشهور في الخلاف، ودرس عليه القاضي أبو الوليد الباجي وحدث عنه هو وأبو بكر الخطيب"⁽³⁾. وله مقدمة حسنة في أصول الفقه⁽⁴⁾.

كما كان للمذهب الشافعي بالغ التأثير في تكوين الباجي، وذلك عبر اتصاله بعلمائه منهم أبو الطيب طاهر بن عبد الله الطبري انتهت إليه رئاسة العلم ببغداد، كان ثقة، فاضلا، صادقا، أدبيا، ورعا واسع العلم، وكان له شعر على طريق الفقهاء، ومساجلة مع المعري، وكان قاضيا بربع الكرخ⁽⁵⁾. شرح مختصر المزني، وصنف في الخلاف والمذهب والأصول والجدل كتبا كثيرة، ليس لأحد مثلها⁽⁶⁾، وقد سمع الباجي

(1) عياض: ترتيب المدارك، ج8، ص55؛ وأبو القاسم علي بن الحسن بن عساكر الدمشقي (ت571هـ): تبين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، تح: أحمد حجازي السقا، دار الجيل، بيروت، 1995م، صص268-271.

(2) عياض: المصدر نفسه، ص53؛ وابن عساكر: المصدر السابق، صص264-265؛ والذهبي: سير الأعلام، ج18، ص73.

(3) ابن فرحون: الديباج المهذب، ص368.

(4) محمد مخلوف: شجرة النور الزكية، ج1، ص156؛ والذهبي: السير، ج17، صص327-331.

(5) أبو عبد الله محمد بن الحسن الحجوري الثعالبي (ت1376هـ): الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، منشورات مطبعة النهضة، تونس، (د.ت)، الرابع الرابع، ص15.

(6) الذهبي: سير الأعلام، ج17، صص670، 671؛ وابن الأثير: اللباب، ج2، ص274؛ والبغدادي: تاريخ مدينة السلام، مج10، ص492.

من أبي طالب محمد بن علي بن الفتح العشاري (ت451هـ) وجاء وصفه في ميزان الإعتدال: "شيخ صدوق معروف، حدث بسلامة باطن، منها حديث موضوع في فضل ليلة عاشوراء ومنها عقيدة للشافعي"⁽¹⁾.

وأيضاً اختلف إلى الحافظ الكبير، أحد أعلام الإسلام، ومهرة الحديث صاحب التصانيف الكثيرة أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي (ت463هـ) يقول فيه صاحب سير الأعلام: "وكتابه الخطيب مليحة مفسرة، كاملة الضبط بها أجزاء بدمشق رأيتها"⁽²⁾.

ويعود الفضل إلى تكوينه أيضاً إلى الشيخ الإمام القدوة، المجتهد، شيخ الإسلام أبو إسحاق إبراهيم بن درستويه الفارسي الشيرازي (ت476هـ) يضرب به المثل في الفصاحة والمناظرة، له مناظرات مع الدامغاني الحنفي، ألف كتاب التنبيه والمهذب فيالفقه، والنكت في الخلافات، واللمع وشرحها والتبصرة في الأصول والمعونة في الجدل وله الشعر الحسن⁽³⁾.

وقد دخل الباجي الشام فسمع من أبي الحسن علي بن محمد بن الحسن بن أحمد الحربي السمسار (ت437هـ)⁽⁴⁾. وسمع بمصر من أبي محمد بن الوليد (ت448هـ) الأندلسي الأصل، الذي رحل إلى إفريقية ثم مصر ثم الحجاز، فسمع من جلة العلماء غلبت عليه الرواية، قال فيه الباجي: شيخ صالح، ثقة، مصحح لكتبه، كثير الرواية⁽⁵⁾.

(1) الذهبي: ميزان الاعتدال في نقد أسماء الرجال، تح: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، (د.ت)، مج3، صص656-657؛ وأيضاً سير الأعلام، ج18، صص48-50؛ وابن الأثير: اللباب، ج2، ص341.

(2) الذهبي: سير الأعلام، ج18، ص285؛ وأيضاً: بن الحسن الحجوي الثعالبي: الفكر السامي، ص160.

(3) الحجوي: المصدر السابق، صص160-161؛ وأبو نصر عبد الوهاب بن علي بن علي السبكي (ت771هـ): طبقات الشافعية الكبرى، تح: عبد الفتاح محمد الجلو ومحمود محمد الطنجي، ط1، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1964م، ج2، ص114؛ وابن عساكر: تبیین كذب المفتری، صص276-278.

(4) عياض: ترتيب المدارك، ج8، ص118.

(5) المصدر نفسه، ص118.

فكان مقام الباجي بالمشرق نحو ثلاثة عشر عاما، وجل قدره بالمشرق الإسلامي وسمع منه بالمشرق، وحاز الرئاسة بالأندلس، فأخذ عنه علم كثير، وسمع منه جماعة، وتفقه عليه كثير، وذلك بفضل حسن استفادته من العلم المشرقي الذي مثله هؤلاء الشيوخ.

وهكذا بعد مرحلة التلقي التي قصد بها الباجي جهة المشرق تأتي مرحلة الإنتاج المتمثلة في عدد المصنفات لتي ألفها الدالة على بلوغه العلمي الكلامي.

2- المصنفات الباجية:

فإن من بين أهم المؤلفات التي ألفها كتابه المشهور المنهاج في ترتيب الحجاج المتسم بطابع هذه الثقافة الفقهية الأصولية الجدلية الشاسعة والجامعة، والتي تلقاها في المشرق وخاصة بغداد. وبفضلها عاد إلى الأندلس وقد أكمل زاده العلمي، واستعد لفتح جديد في علم الكلام بتكونه الأشعري، وكذلك في علم الأصول الفقهية بإحكامه الفن الجدلي، ومن الثابت أنه يناصر في المنهاج الأقوال المالكية، وقد ألف خصيصا لهذا الغرض.

ولقد أراد الباجي من أن يجعل من المنهاج كتاب خلاف، لذا فهو يستعرض فيه الآراء المختلفة من المذاهب الثلاثة الكبرى*، ليضعها حذو الآراء المالكية، فالباجي يبين غرضه من التأليف ويبرره. فمن جهة العقل يذكر بأن الله تعالى قد نصر متبع الحق، ودحض مبتدع الباطل، فبين لذلك الأدلة على السنة الرسل، وأظهر الأعلام على أوضح السبل، فمن الطبيعي أن يتدارس أولو الأبصار والألباب هذه الأدلة، ويتعرضوا على هذه الأعلام حتى يتوصلوا إلى نهج الصواب، ويدروا الشبهات.

* إذ يتحدث عن شيوخها؛ وإذ تعلق الأمر خاصة بأستاذيه الطبري والشيرازي.

وإن المصاحب لهذه الدراسة لجد أكيدة، إذ كتبها خاصة لمواطنيه الأندلسيين⁽¹⁾.

أما من باب النقل، فيقيم حجية تأليفه على آيات قرآنية، حرم الله في بعضها الجدل على من يحتاج فيما ليس له علم وفرض في الأخرى على من علم وأتقن فنه أن يجادل بالتي هي أحسن، وكذلك يدعمها بالسنة النبوية التي علمتنا الجدل، إذ رتبت الأدلة حق ترتيبتها، بينها الرسول **صلى الله عليه وسلم** معصوم وجب علينا اتباعه وامتنال أوامره دون مطالبة على أعيان المسائل وأخيرا يركزها على أعمال الصحابة، إذ يدعو إلى اتخاذ أسرة **زيد بن ثابت** في مناظرته لـ **علي بن أبي طالب**⁽²⁾.

وقد جزأ كتابه هذا إلى تسعة أجزاء رئيسية، بدت لنا المحاور الرئيسية التي يدور حولها الكتاب، فبعد المدخل وقد رقم بالأول سعى الحديث فيه إلى تبرير تأليفه وإثبات حجية هدفه، ثم يأتي على ذكر ما يتأدب به المناظر من قواعد وشروط وأخيرا ينتقل إلى بيان حدود الألفاظ الدائرة بين المتناظرين، يأتي الباب الثاني بعنوان أقسام أدلة الشرع، ثم الباب الثالث يأتي الحديث فيه على أقسام السؤال والجواب، أما الباب الرابع جعله خصوصا لبيان وجوه الإعتراض على الإستدلال بالكتاب، أما الباب الخامس خص الكلام فيه على الإعتراض على الإستدلال بالسنة، ثم عالج في الباب السادس مسألة استصحاب الحال، أما الباب السابع جعله للكلام على الترجيحات.

ثم الباب الثامن جاء عنوانه بيان وجوه الاعتراض على الإستدلال بالإجماع، ثم ليكون الباب التاسع والأخير عنوانه الكلام على معقول الأصول⁽³⁾.

(1) يقول الباجي في هذا الصدد ومعظمهم أن لم يكونوا يجهلون هذا الفن؛ للمزيد ينظر: عبد المجيد تركي: مقدمة التحقيق.

(2) أبو الوليد الباجي (ت474هـ): المنهاج في ترتيب الحجج، تح: عبد المجيد النجار، ط3، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2001، ص ص 19-20.

(3) انظر: الباجي: المصدر السابق.

إذن فهو كتاب في صناعة الجدل يهدف إلى بيان أبوابها وإجمالاً ثم أقسامها تفرعاً ثم أشملها تفصيلاً وأخيراً أجوبتها تدقيقاً، وهو في الواقع عبارة عن رسالة في هذه الصناعة ذات غاية تعليمية⁽¹⁾.

ومن الكتب التي ألفها الأصول والكلام أيضاً نجد:

-كتاب التسديد إلى معرفة طرق التوحيد. وكتابه إحكام الفصول في أحكام الأصول، حيث قسم كتابه هذا إلى أبواب وفصول ومسائل ابتدأه بفصلين مهمين: أولهما في بيان الحدود التي يحتاج إليها في معرفة الأصول، فوضع فيه المصطلحات المستعملة في هذا العلم، وثانيهما في بيان الحروف اللغوية التي تدور بين المنتظرين، وتشدد الحاجة في الفقه إلى معرفتها، وتوسع كثيراً في الكلام عن القياس، وتناول الكلام معه عن الإستحسان والمنع من الذرائع، وتكلم بعد ذلك عن استصحاب في الحال وختم كتابه في الكلام عن أحكام الإجتهد...⁽²⁾. وكتابه هذا يختلف عن كتاب المنهاج كما أشار إلى ذلك في مقدمته وهو ما يوحي به عنوانه⁽³⁾.

كما تظهر في بعض المواضع آثار تأثيره بمنهج كبير أساتذته أبي إسحاق الشيرازي⁽⁴⁾.

وإن كتاب إحكام الفصول من أفضل كتبه الأصولية، ومن الكتب الهامة جداً في هذا العلم، ومن المراجع الأساسية في الأصول المقارن، بل من أهمها لتركيبه على المسائل الخلفية⁽⁵⁾.

(1) الباجي: المصدر السابق، ص20.

(2) الباجي: إحكام الفصول في أحكام الأصول، دراسة وتحقيق: عبد الله محمد الجبوري، ط1، منشورات مؤسسة الرسالة، بيروت، 1989م، ص32.

(3) المصدر نفسه، ص33.

(4) المصدر نفسه، ص32.

(5) المصدر نفسه، ص31.

ومن مصنفاته الأصولية كتابه الموسوم بعنوان **الإشارة في معرفة الأصول** وهذا اختصره على كتابه السابق **إحكام الفصول**، حيث توخى فيه الإيجاز، وهذا الكتاب على اختصاره وصغر حجمه فإنه مستوعب لمعلومات أصولية نفيسة مفيدة للمبتدئ، ولا يستغني عنها الباحث لا سيما فيما تعلق بأصول المذهب المالكي، حيث أشار إلى أهم المسائل الأصولية إشارة وجيزة ومختصرة، كما هو ظاهر من عنوان الكتاب، فبدأ المصنف بتعريف الإصطلاحات الأصولية المالكية على نحو ما هو موجود في كتابه **الحدود في الأصول** ثم تعرض إلى أدلة الشرع، وقسمها إلى ثلاثة أقسام؛ تناول في القسم الأول الأصل وأدرج تحته للكتاب والسنة وإجماع الأمة، أما القسم الثاني فتناول فيه معقول الأصول وأدرج تحته لحن الخطاب وفحوى الخطاب ومعنى الخطاب، أما القسم الثالث فقد خصه لاستصحاب الحال، ثم تعرض أخيرا لباب أحكام الترجيح⁽¹⁾.

وهذا بغض النظر عما يتضمنه محتوى الكتاب من معلومات وقواعد فإن قيمته العلمية تظهر جليا في إشارة المصنف إلى جملة من أقوال أئمة المذهب المالكي المعروفين بالإجادة والإتقان⁽²⁾. وهو الكتاب الذي سمعه أحمد بن محمد بن أحمد الهالبي ابن المناصف من أبي الوليد بن بقوة⁽³⁾.

وأیضا في كتابه **الحدود في الأصول** وهو من الكتب المختصة بالتعريف بالألفاظ المصطلح عليها عند الأصوليين خاصة، وليس من الكتب العامة في التعريفات، حيث جمع فيه تعريفات كثيرة هامة، والكتاب بالجملة قيم جليل القدر كثير الفائدة لا يستغني عنه باحث في الأصول⁽⁴⁾.

(1) الباجي: الإشارة في معرفة الأصول والوجيزة في معنى الدليل، دراسة وتحقيق وتعليق: محمد علي فركوس، دار البشائر الإسلامية، بيروت، (د-ت)، ص 6-7.

(2) المصدر نفسه، ص 7-8.

(3) ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلاة، مج 1، ص 178.

(4) الباجي: الحدود في الأصول، تح: نزيه حماد، منشورات مؤسسة الرعيني، بيروت، (د-ت)، ص 16-17.

وأيضاً كتاب **النصيحة الولدية**، فهو عبارة جملة نصائح قدمها الباجي لولديه، وقد قسمت هذه النصائح إلى قسمين طالبا منه طاعته واتباعه.

فالقسم الأول قد استهله بوصية الإيمان وحفظ القرآن والعمل به، ثم الوصية بمحبة الرسول صلى الله عليه وسلم ومحبة أصحابه والتابعين له بإحسان ثم الوصية بإقامة الصلاة... إلى غير ذلك من أركان الإسلام، كما وصاهم بطلب العلم وفضل النفقة في الدين، إلى جانب ذلك حذرهم من قراءة كتب المنطق والفلسفة، فهذا القسم أورد فيه ما يجب من أمر الشريعة والقسم الثاني فيما يجب أن يكون عليه في أمر الدنيا⁽¹⁾.

وغيرها من المؤلفات وفي شتى العلوم⁽²⁾. التي كانت لها أهمية وتفضيل على غيرها عند أهل العلم وخاصة شيوخه الذين كانوا يفضلونه ويفضلون كتبه، وخاصة في مجادلاته العنيفة لابن حزم⁽³⁾. في الفقه والعقيدة على طريقة الأشعرية. فكان له تأثير في التفكير العقدي بفضل تكوينه وإبداعه من خلال الكتب التي قدمها لكل مبتدئ أو لكل عالم يود الإنخراط في الحقل الأشعري، مستمداً ذلك من التجربة المشرقية.

(1) الباجي: النصيحة الولدية -وصية أبي الوليد الباجي لولديه-، تح: إبراهيم باجس عبد المجيد، ط3، دار ابن حزم، بيروت، 2000.

(2) ينظر: عياض: ترتيب المدارك، ج8، ص ص124-125؛ وابن فرحون: الديباج المذهب، ص200.

(3) يقول عياض: "وبلغني أن أبا محمد بن حزم الظاهري-على بعد بينهما-كان يقول: "ولم يكن للمالكية بعد عبد الوهاب مثل أبي الوليد الباجي"، ترتيب المدارك، ج8، ص119.

-وفي مناظراته: يراجع: ابن فرحون: الديباج المذهب، ص ص198-199؛ والمقري: نفع الطيب، ج2، ص ص67-68.

وأيضاً: عمر بن حمادي: تساؤلات حول الأشاعرة بالغرب الإسلامي في القرن الخامس الهجري، علاقتهم بالمرابطين وتواجدهم بالأندلس، ضمن أشغال الندوة الدولية الأولى: من أعلام الغرب الإسلامي: أبو الوليد الباجي وأبو الحسن اللخمي، المنعقد بتونس، بتاريخ يومي 22 و23 أكتوبر 2014م، جمع النصوص وأعداها للنشر: نجم الدين الهنتاني، تونس، 2015، ص ص203-213.

ثانيا - الضير والأشعرية المحلية:

وكان الضير من ثالث الشخصيات الذين عنوا بتكوينهم الأشعري، إلا أنه هذه المرة تم الإكتفاء بالإطار المحلي.

1 - الأخذ الأشعري للضير:

والجدير بالذكر أن هاته الشخصية قد لقت شحا من قبل النصوص حول الحديث عنها، إلا أن مع عملية البحث والحفر سوف نجلي ما يؤكد على حضوره الأشعري.

إذن فهو يوسف بن موسى الكلبى الضير (ت520ه/1126م) من أهل سرقسطة، يكنى أبا الحجاج، سكن مراکش، النحوي الأصولي الإمام⁽¹⁾، الأديب المتكلم الزاهد⁽²⁾. كان من المشتغلين بعلم الكلام على مذهب الأشعرية، ونظار أهل السنة، عارفا بالنحو والأدب⁽³⁾. من أهل التبحر والتقدم في علم التوحيد والإعتقادات⁽⁴⁾. وكل هذا ما وصله من علم كان بفضل سماعه من مفكرين اشتهرت أسماؤهم وتداولت أفكارهم ومؤلفاتهم، وخاصة في الغرب الإسلامي.

فكان من هؤلاء أبو بكر محمد بن الحسن الحضرمي المرادي (ت489ه) -سابق الذكر- كان مختصا به⁽⁵⁾، أخذ عنه علم الكلام⁽⁶⁾. قال أنشدني أبو بكر المرادي لنفسه في الحجة على إثبات القدر⁽⁷⁾:

(1) الضبي: بغية الملتمس، ج2، ص663.

(2) المقري: أزهار الرياض في أخبار عياض، ضبطه وحققه وعلق عليه: مصطفى السقا وآخرون، منشورات مطبعة لجين، القاهرة، 1942م، ج3، ص161.

(3) عياض: الغنية، ص266.

(4) ابن بشكوال: الصلة، مج2، ص331؛ والسيوطي: بغية الوعاة، ج2، ص362.

(5) ابن الزيات التادلي: التشوف إلى رجال التصوف، ص166.

(6) أبو الفضل السملالي: الأعلام، ج4، ص12.

(7) ابن بشكوال: الصلة، مج1، ص ص481-482.

عَلِمِي بِقُبْحِ الْمَعَاصِي حِينَ أَرْكَبُهَا يَقْضِي بِأَنِّي مَحْمُولٌ عَلَى الْقَدْرِ
لَوْ كُنْتُ أَمْلِكُ نَفْسِي أَوْ أَصْدُقُهَا مَا كُنْتُ أَطْرَحُهَا فِي لُجَةِ الْغَمْرِ
كَلِفْتُ فِعْلاً وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَيْهِ وَلَمْ أَكُنْ لِأَفْعَلٍ أَفْعَالاً بَلَاءً قَدْرَ
وَكَانَ فِي عَدْلِ رَبِّي أَنْ يُعَذِّبَنِي فَلَمْ أَشَارِكُهُ فِي نَفْعٍ وَلَا ضَرَرٍ
إِنْ شَاءَ نَعْمَنِي أَوْ شَاءَ عَذَّبَنِي أَوْ شَاءَ صَوَّرَنِي فِي أَقْبَحِ الصُّورِ
يَا رَبِّ عَفْوِكَ عَنْ ذَنْبِ قَضَيْتَ بِهِ عَدْلًا عَلَيَّ فَهَبْ لِي صَفْحَ مُقْتَدِرِ

كما كان له سماع من أبي مروان عبد الملك بن سراج بن عبد الله بن محمد بن

سراج (ت489هـ)⁽¹⁾ -سبق التعريف به- أخذ عن الكثير، وأخذ عنه الكثير.

ومن بعده أبو علي حسين بن محمد بن أحمد الغساني الجياتي (ت492هـ) رئيس المحدثين بقرطبة، روى عن أبي عمر بن عبد البر وأبي شاذان القبري وأبي عبد الله محمد بن عتاب والقاضي سراج بن عبد الله وابنه أبي مروان الوليد الباجي وأبي العباس العذري، وجماعة غيرهم يكثر تعدادهم، سمع منهم، وكتب الحديث عنهم.

كان من جهابذة المحدثين، وكبار العلماء المسندين، وعني بالحديث وكتبه وروايته، وكان حسن الخط، جيد الضبط، وكان له بصر باللغة والإعراب، ومعرفة الغريب والشعر، والأنساب، وجمع من ذلك كله ما لم يجمعه أحد في وقته. ورحل الناس إليه، وعولوا عليه الرواية وجلس لذلك بالمسجد الجامع بقرطبة، وسمع من أعلام قرطبة⁽²⁾. وكبارها وفقهائها وجلتها، وقد وصفوه بالجلالة والحفظ والنباهة والتواضع والتعاون⁽³⁾. حدث عنه عياض إجازة؛ ولم يكن في كثير من منتحلي الحديث أضبط منه لكتبه، وعليه في وقته كانت العمدة في الحديث في الأندلس⁽⁴⁾. ويقول صاحب الصلاة: "وذكره شيخنا أبو الحسن بن مغيث فقال: كان أكمل من رأيت علما بالحديث، ومعرفة

(1) المصدر نفسه، مج2، ص331؛ وابن قنفذ: الوفيات، صص263-264.

(2) انظر: عياض ترتيب المدارك، ج8، ص192؛ والغنية، صص56-57.

(3) ابن بشكوال: المصدر السابق، مج1، صص203-204.

(4) عياض: ترتيب المدارك، ج8، ص192.

بطرقه، وحفظاً لرجاله، عانا كتب اللغة، وأكثر من رواية الأشعار، وجمع من سعة الرواية ما لم يجمع أحد أدركناه، وصحح من الكتاب ما لم يصححه غيره من الحفاظ، كتبه حجة بالغة⁽¹⁾.

جمع كتاباً في رجال الصحيحين سماه **تقييد المهمل وتمييز المشكل** وهو كتاب حسن مفيد، أخذ الناس عنه، وسمعناه على القاضي أبي عبد الله بن الحاج عنه⁽²⁾.
وعليه يمكن القول أن الضرير قد استطاع أن يحسن استفادته من هؤلاء المفكرين فيكون بمثابة تلميذ مخلص ومجتهد رغم قلتهم. لقد برز الضرير كحامل للواء المذهب الأشعري في حياة شيوخه، فخلف آثاراً يشهد لها التاريخ العقدي.

2- العطاء الأشعري للضرير:

كان الضرير قد ألف أرجوزة فريدة كانت من أهم مراجع الدرس الأشعري بالمغرب؛ وهو أرجوزة **التنبيه والإرشاد في علم الاعتقاد** ضمت زبدة ما أنتجه الفكر الأشعري في ذلك الإبان. حيث صدر منظومته بمقدمة من ثلاثة وعشرين بيتاً، وبعد حمد الله والثناء عليه؛ وصف الله تعالى بأوصاف يشير من خلالها إلى المباحث التي تتناولها مسائل العقيدة - بأسلوب ينم عن علو كعب الضرير، ورسوخ قدمه في علوم شتى لا سيما اللغة العربية - وهي الإلهيات والنبوات ثم السمعيات، حيث نصت أبوابه على تسع وتسعين باباً.

حيث افتتح هذه الأبواب بباب في فضل علم العقيدة وختمها في ترتيب الصحابة فكانت أرجوزته ذات أهمية بالغة سواء من الناحية العلمية أو من الناحية التاريخية.

(1) أبو جعفر ابن الزبير: صلة الصلة، تح: أبو العلا شريف العدوي، ط1، منشورات مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،

2008، ص169.

(2) المصدر نفسه، ن، ص.

فمن الناحية العلمية، نجدها تناولت موضوعات العقيدة؛ في عرض مستفيض وشامل على طريقة المذهب الأشعري، سهل العبارة، قريب الإشارة، حججه قوية، وأدلته قطعية، مضاد بضياء الأدلة السمعية الشرعية، منار بأنوار الحجج العقلية النظرية، حاو لأصول العقيدة وفروعها، لم يترك منها ما يخل بها، ولم يغفل ما يضعفها أو يوصفها.

وقد ساعد تزلج الضرير في علم اللغة العربية عموماً، والنحو على وجه الخصوص على جعل هذا الكتاب رجزاً يراعي مستويات الفئات المستهدفة، سواء على مستوى العرض أو الرد⁽¹⁾. حيث اعتبر كتابه هذا؛ نظم إرشاد العالم الأشعري الجويني، حيث وضع شروطاً صارمة في استدلال الشاهد على الغائب، وكذلك التأويل العقلي⁽²⁾.

أما من الناحية التاريخية، فالكتاب يعتبر من أوائل النظم العقدية على المذهب الأشعري يصل إلينا، ولا يخفى ما لمؤلفات علم الكلام القديمة من قيمة تاريخية في تصوير العصور التي كتبت فيها وتشخيصها، وبيان جهود مؤلفيها في الاستدلال على العقائد الإسلامية والرد على مخالفيها من أجل جعلها مقدمة لدراسات عقدية تتناسب روح العصر الحالي ومشاكله.

ثم إذا نظرنا إلى علم الكلام منذ نشأته، نجده قائماً على أمرين أساسيين هما:

1- أدلة تتناسب مع عقليات من يوجه إليهم هذا العلم من مختلف أصناف الناس، يهدف الوصول إلى اليقين بالعقيدة الإسلامية.

(1) أبو الحجاج الضرير (ت520هـ): التنبيه والإرشاد في علم الاعتقاد، تقديم وتحقيق: سمير فوبيع ومحمد العمراني ونور الدين شعبي، ط1، دار أبي رقرق، الرباط، 2014، ص ص6-7.

(2) توفيق مزارى عبد الصمد: أثر المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي حتى القرن السادس الهجري، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، 2014م، ع:17، الجزائر، ص153.

2- الرد على الفرق المخالفة والتي لها وجود فعلا في الزمن الذي أنتج فيه.

وإذا رجعنا إلى كتاب الضرير نجد أن هذين الأمرين قد برزا بشكل واضح فيه، بين تبسيط طرق إيصال قواعد الإستدلال على المسائل العقديّة، بما يتناسب مع المستوى الفكري لمجتمعه، والرد على المخالفين كلّما دعت الضرورة لذلك⁽¹⁾. فقد كان الضرير يهدف بأرجوزته هذه إلى تقريب الفهم والحفظ⁽²⁾. فالضرير تولى تدريسها بنفسه في مراكش، وقد أخذها عنه مجموعة من كبار علماء المغرب في هذه الفترة وعلماء الأندلس، وتناقلت عملية تدريسها بعد الضرير في جوامع الأندلس والمغرب وغيرها، يسهر على تدريسها جمع كبير من الأئمة الكبار في هذا المذهب.

وقد تولى تدريسها بالأندلس تلميذه المباشر أبو عبد الله محمد بن خلف القرطبي الألبيري (ت 537هـ) -سابق التعريف به- وبعده أبو بكر محمد بن عبد الرحمن الفخار (من أعلام القرن السابع) ومحمد بن خليل السكوني صاحب أربعون مسألة في أصول الدين، وقد وضع عليها شرحا متوسطا⁽³⁾.

ومن تلاميذه الذين خلفهم أيضا أبو موسى عيسى بن يوسف بن علي الأزدي (ت 543هـ) المعروف بابن الملجوم، من أهل فاس. سمع ببلده من أبي قاضي الجماعة أبي الحجاج وأبي الفضل ابن النحوي وأبي الحجاج الكلبى الضرير. وبأغامت من أبي محمد اللخمي سبر أبي عمر عبد البر. ودخل الأندلس فلقي بقرطبة سنة خمس وتسعين وأربعمائة أبا عبد الله بن الطلاع وأبا علي الغساني وأبا الحسن بن سراج وأبا محمد بن عتاب وسمع منهم ومن غيرهم...

(1) الضرير: المصدر السابق، ص 7.

(2) المصدر نفسه، ص 30.

(3) يوسف احنانة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، ط2، دار أبي رقرق، الرباط، 2007م، ص 105.

ثمّ دخل ثانية الأندلس، فلقي بإشبيلية أبا عبد الله بن شبرين وسمع منه وكتب إليه أبو عبد الله الخولاني وأبو علي بن سكرة وغيرهما⁽¹⁾.

كان عارفاً بالفقه، ذاكراً للمسائل، متقدماً في علم الفرائض، محدثاً، حافظاً رواية⁽²⁾. استقضى بمكناسة الزيتون ثمّ بفاس، ثمّ انصرف، وأريد على معاودة القضاء فامتنع واستعفى فأعفي، وأقبل على نشر العلم وتدريسه⁽³⁾، واستمر على ذلك إلى أن توفي⁽⁴⁾.

بالإضافة إلى العلامة الإمام المجتهد أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض بن محمد بن عبد الله بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي (ت 544هـ) إمام وقته في الحديث وعلومه، عالماً بالتفسير وجميع علومه، فقيهاً أصولياً، عالماً بالنحو، واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم، بصيراً بالأحكام، عاقداً للشروط، حافظاً لمذهب مالك -رحمه الله-.

رحل إلى الأندلس سنة سبع وخمسة مائة طالباً للعلم، فأخذ بقرطبة عن القاضي أبي عبد الله محمد بن علي بن حمدين وأبي الحسين بن سراج وعن أبي محمد بن عتاب وغيرهم، وعن أبي عبد الله المازري كتب إليه يستجيزه⁽⁵⁾. أخذ بشرق الأندلس عن القاضي حسين بن محمد بن خيرة الغساني كثيراً، وعنى بلقاء الشيوخ والأخذ عنهم⁽⁶⁾.

(1) ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، مج3، ص434؛ والسملالي: الإعلام، ج9، ص398.

(2) أبو العباس أحمد بن القاضي (ت1025هـ): جذوة الإقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور، الرباط، 1973م، ص500-501.

(3) ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، مج5، ص8، ص113.

(4) ابن الزبير: صلة الصلة، ص230.

(5) ابن فرحون: الديباج المذهب، ص271.

(6) ابن القاضي: المصدر السابق، ص499.

وقدر له من الشيوخ منه وبين ما أجاز له مئة شيخ. فأجاز له أبو علي الغساني والشيخ أبو بكر الطرطوشي⁽¹⁾.

ويقول في شيخه **الضرير**: "وسكن بلدنا مدة، وتردد بالأندلس والمغرب، فرأيت عليه أرجوزته **الصغرى** التي ألفها في الإعتقادات وحدثني **بالكبرى** وبكتاب **التحرير** لأبي بكر المرادي، وأجازني **أرجوزته الكبرى** وجميع تواليه ورواياته منها تأليف أبي بكر المرادي شيخه، وعنه كان أكثر أخذه.."⁽²⁾. كتاب **الشفاء بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم**. وكتاب **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**. وكتاب **الغنية في شيوخه**. وكتاب **المعجم في شيوخ ابن سكرة**⁽³⁾.

وقد روى عن **الضرير** أيضا الفقيه، الحافظ، المشاور، المفتي، الفارض، المتقدم في عقد الشروط، العدل، **الفاضل علي بن الحسين بن علي بن الحسين اللواتي الفاسي** (ت593ه)⁽⁴⁾.

ومنه لا يخفى عنا الدور الذي قاما به أبو الوليد الباجي والإمام أبو الحجاج **الضرير اللذان أشبعا الحديث عن المذهبية الأشعرية، فكانت الدعوة إليها نظريا وتطبيقيا**.

(1) ابن فرحون: **الديباج المذهب**، ص271.

(2) عياض: **الغنية**، ص226؛ أيضا **المقري**: **نفح الطيب**، ج3، ص161.

(3) له من التصانيف الكثيرة أكملت وله ما لم تكمل؛ ينظر: ابن فرحون: **الديباج المذهب**، ص272. وفي ترجمته: ابن الخطيب: **الإحاطة في أخبار غرناطة**، مج4، ص222؛ وابن بشكوال: **الصلة**، مج2، ص74-75؛ والذهبي: **المستملح**، ص352-353؛ وابن قنفذ: **الوفيات**، ص280؛ وأبو الصفا خليل **الصفدي** (ت764ه): **الوافي بالوفيات**، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2000، ج4، ص206.

(4) ابن القاضي: **المصدر السابق**، ص466-467؛ وأبو العباس أحمد **التنبكتي** (ت1036ه): **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، إيش وتق: عبد الله الصرامة، ط1، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1989م، ص315.

الفصل الثالث:

ابن رشد.. حوصلة ولحظة مفصلية

أولاً: ابن رشد منفتحا على المؤثرات الأشعرية

1- المشيخة الرشدية.

2- المؤلفات الرشدية.

ثانياً: ابن رشد وحدود التحفظ على إشاعة الكلام الأشعري

1- إجازة الكلام الأشعري.

2- التحفظ على إشاعة الكلام بين العوام.

وعلاوة على هؤلاء يبرز المفكر الأندلسي القرطبي أبو الوليد ابن رشد الجد الذي كان محل اهتمام الكثير من المفكرين والساسة ويشكل وقعة محطة هامة في تاريخ الفكر الأشعري.

أولاً - ابن رشد منفتحاً على المؤثرات الأشعرية:

إنّ ابن رشد كان لا بد له من الإنتفاع من جملة العلماء لكي يصل إلى ما وصل إليه من علم وفكر.

1 - المشيخة الرشدية:

الفقيه المشهور محمد بن أحمد بن محمد بن رشد (ت520هـ/1126م) المالكي، قاضي الجماعة، بقرطبة، وصاحب الصلاة بالمسجد الجامع المكنى أبا الوليد.⁽¹⁾ كان واحد وقته جلاله وفضلا، وذكاء ونبلا، ونزاهة وحلما، ومعرفة وعلما.⁽²⁾ وأوحد زمانه في الفقه⁽³⁾. حيث تلقى تعليمه الأول على يد والده أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن رشد (كان حيا سنة 482هـ) كان من أهل العلم والجلالة

(1) في ترجمته: ابن بشكوال: الصلة، مج2، ص221؛ وابن القاضي: جذوة الاقتباس، ص ص254-255؛ والذهبي: سير الأعلام، ج19، ص501؛ وابن فرحون: الديباج المذهب، ص ص373-374؛ والمقري: أزهار الرياض، ج3، ص ص59-60؛ وأبو محمد حسن بن علي بن القطان الكتاني (حي 650هـ): نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، درسه وقدم له وحققه: محمد علي مكي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص150.

(2) أبو الفضل السملالي: الإعلام، ج4، ص52.

(3) الضبي: بغية الملتمس، ج1، ص74.

والعدالة⁽¹⁾ فتعلم منه القرآن، وبجانبه رواية الشعر والتوسل وقواعد العربية وتجويد الخط.

ويتم ابن رشد تكوينه اللغوي على إمام اللغة في وقته العالم الجليل الحافظ أبو مروان عبد الملك بن سراج (ت489هـ) -سابق التعريف به- وإليه كانت الرحلة من كل الجهات وعنه أخذ جماعة منهم ابنه الحافظ أبو الحسن بن سراج، وحدث عنه الجبائي والصدفي وابن العربي وابن الحاج وغيرهم.⁽²⁾

وفي الفرائض التي اشتهر بالنبوغ فيها أخذ عن أبي عبد الله محمد بن خيرة (ت478هـ) المعروف بابن أبي العافية، من أهل قرطبة وسكن المريّة، روى عن أبي القاسم بن دنيال وعن أبي القاسم حاتم بن محمد وغيرهما، وعن أبي عمر بن عبد البر فرحل إليه وسمع منه بشاطبة وصحبه وعين هنالك طاهر بن مفوز. كان من جلة العلماء وكبار الفقهاء، شهر بالعلم والحفظ والذكاء والفهم، واعتنائه بالحديث وسماعه، وشور في الأحكام بقرطبة. روى عنه ابن رشد وأبو الوليد هشام بن أحمد الفقيه⁽³⁾.

أما في الحديث، وأصول الفقه والتفسير، فقد أخذ عن أبي مروان بن سراج السابق. وعن أبي العباس أحمد بن عمر بن أنس العذري المري (ت478هـ) المعروف بابن الدلائي الذي كتب بمكة قطعة كبيرة من المصنفات والتواريخ وغير ذلك، وذلك بعد رحلته مع والده بعيد الأربعمئة فسمع الكثير من شيوخها ومن القادمين إليها⁽⁴⁾. وسمع من أبي ذر الهروي البخاري مرات وأبي العباس الرازي والقاضي يونس وغيرهم مما هو كثير من أهل الحجاز والعراق وخراسان، ومنهم من لا يعد كثرة ابن

(1) ابن فرحون: الديباج المذهب، ص111.

(2) محمد مخلوف: شجرة النور الزكية، ج1، ص181.

(3) بخصوص تاريخ وفاته ورد في كتاب الصلة لابن بشكوال، مج2، ص186، أنه توفي سنة 479هـ، وترجم له: ابن

الأبار: التكملة: مج2، ص65.

(4) الضبي: بغية الملتبس، مج1، ص242، ص243.

عبد البر، وروى عنه الصدفي صحيح مسلم، وله فهرسة⁽¹⁾. فلقد أجاز لابن رشد ما رواه⁽²⁾. كما سمع ابن رشد كذلك من الإمام الحافظ، المجود، الحجة الناقد محدث الأندلس أبي علي الغساني-سبق التعريف به-⁽³⁾.

أما في مجال الفقه، الذي هو اختصاصه، أخذ عن أبي عبد الله محمد بن فرج (ت497هـ) المعروف بابن الطلاع، الشيخ الإمام العلامة القدوة، مفتي الأندلس ومحدثيها، أسند من بقي صحيحا فاضلا، عنده بلة بأمر دنياه وغفلة، ويؤثر عنه في ذلك طرائف، وكان شديدا على أهل البدع مجانباً لمن يخوض في غير الحديث⁽⁴⁾.

يصفه صاحب الصلة: "كان فقيها عالما، حافظا للفقه على مذهب مالك وأصحابه، حاذقا بالفتوى، مقدما في الشورى، عارفا بعقد الشروط وعللها، مقدما فيها، ذاكرا لأخبار شيوخ بلده وفتاويهم، مشاركا في أشياء من العلم حسنة، مع خير وفضل وعفاف ودين... معظما عند الخاصة والعامة، يعرفون له حقه ولا ينكرون فضله، وكان كثير الذكر لله تعالى، حافظا لكتابه العزيز، تاليا له مجودا لحروفه"⁽⁵⁾.

ولي الصلاة بالمسجد الجامع بقرطبة، وأسمع الناس به، وأفاتهم فيه هو عمر وأسن من سمع من الكبار والصغار والأبناء، وكانت الرحلة إليه. جمع كتابا حسنا في أحكام

(1) محمد مخلوف: شجرة النور، ج1، ص179؛ وابن الزبير: صلة الصلاة، تح: شريف العدوي، ص ص 88-89؛ وعياض: الغنية، ص55؛ والمقري: أزهار الرياض، ج3، ص60.

(2) ابن بشكوال: الصلة، ص212.

(3) المصدر نفسه، ن، ص.

(4) ترجم له: الذهبي: سير الأعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط، ط1، منشورات مؤسسة الرسالة، بيروت، 1984م، ج19، ص199 ص200؛ والضبي: بغية الملتمس، ج1، ص244؛ وابن فرحون: الديباج المذهب، ص ص370-371؛ ومحمد مخلوف: شجرة النور، ج1، ص ص181-182؛ وأبو الصفا خليل بن أبيك الصفي (ت764هـ): الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، ط1، دار إحياء التراث العربي، 2000، ج4، ص226؛ وابن قنفذ: الوفيات، ص264.

(5) ابن بشكوال: الصلة، مج2، ص198.

النبي صل الله عليه وسلم⁽¹⁾، فسمع من عالم كثير، ورحلوا إليه لسماع **الموطأ**، ولسماع **المدونة** لعلوه في ذلك **ولسنن النسائي**⁽²⁾.

وكان تفتحة ابن رشد أيضا **بأبي جعفر محمد بن رزق** (ت 477هـ) وعليه اعتماده بنظرائه من فقهاء بلده⁽³⁾. كان فقيها حافظا للرأي، عارفا بالفتوى، صدرا فيمن يشفى، وكان مدار طلبة الفقه بقرطبة عليه في المناظرة والمدارسة والتفقه عنده، ونفع الله به كل من أخذ عنه، وكان فاضلا دينيا، متواضعا حليفا، عفيفا على هدى واستقامة، فيقول **ابن بشكوال** أنه أخبرنا عنه جماعة من شيوخ ووصفوه بالعلم والفضل، وأنه ذكره شيخنا أبو الحسن بن مغيث فقال: "كان أذكى ما رأيت في علم المسائل، وألينهم كلمة، وأكثرهم حرصا على التعليم وأنفعهم لطالب فرع على مشاركة له في علم الحديث". رحل إلى أبي عمر بن عبد البر فسمع عنه، وروى عن أبي العباس العذري وأجاز له عبد الحق بن محمد الفقيه الصقلي ما رواه وألفه⁽⁴⁾.

ويقول **الضبي**: "فقيه، مشاور، محدث، مشهور سمع بقراءته أبو علي الغساني وأبو محمد بن عتاب على أبيه محمد بن عتاب في وقت واحد سنة ثمان وخمسين وأربعمائة"⁽⁵⁾.

وابن فرحون يقول: "قرطبي جليل، من أهل الفقه والمسائل، وكان حافظا ذا كرا، مختصرا في شأنه وملبسه وما فارق السوق، وكان صهر ابن عتاب على ابنته... تفقه

(1) المصدر نفسه، ن.ص.

(2) الذهبي: المصدر السابق، ج19، ص200.

(3) عياض: الغنية، ص55.

(4) ابن بشكوال: الصلة، مج2، ص109.

(5) الضبي: بغية الملتمس، ج1، ص211.

بابن القطان وانتفع به، وبغيره من شيوخ قرطبة، ولي الشورى بها، فتفقه عليه القرطبيون وخرج به جماعة جلة كأبي الوليد ابن رشد...⁽¹⁾.

ومنه كان ابن رشد قد احتك بهؤلاء إذ أن تنقلاته وطلبه للعلم لم يتجاوز الإطار الأندلسي في حين كثيرة، ورغم ذلك استطاع أن يتبحر في شتى العلوم وخاصة منها العلوم النقلية.

إن ابن رشد أبي الوليد استطاع أن ينتقل من مرحلة الأخذ، إلى مرحلة العطاء والإبداع، فقد ألف عدة كتب ومصنفات برهنت على تمكنه وبلوغه العلمي

2- المؤلفات الرشدية:

بعد جده واجتهاده، صار فقيها عالما، حافظا للفقهاء، مقدما على جميع أهل عصره، عارفا بالفتوى على مذهب مالك وأصحابه، بصيرا بأقوالهم، والفهم مع الدين. كان زعيم وقته بأقطار الأندلس والمغرب، ومقدمهم المعترف له بصحة النظر وجودة التأليف ودقة الفقه. وكانت مؤلفاته الدالة على ذلك ومنها: كتابه المعنون **بالمسائل**⁽²⁾؛ فهو كتاب فقه بالدرجة الأولى، ولكنه بجانب ذلك، يمثل أهميات أخرى تتمثل بصفة المسائل الواقعية، التي تعرض صوراً من مجتمع المرابطين وملوك الطوائف بالمغرب والأندلس.

ففي الناحية الفكرية يمكن الإشارة إلى عدة مظاهر تم تناولها ومن ذلك:

أ- **العلاقة بين المذاهب الفقهية:** ويتجلى ذلك في علاقة المالكية والحنفية، كما تتجلى في مهادة الشافعية، والتعامل معها، حتى كان الشافعية-أحيانا- جزء من مذهب

(1) ابن فرحون: الديباج المذهب، ص103.

(2) سمي أيضا: الفتاوى، النوازل، الأجوبة، الجوابات، الأسئلة.

مالك، وأخيرا تتجلى فيالعلاقة بين المالكية والظاهرية، حيث يلف ابن رشد من اضطهاد المجتمع للظاهرية.

ب-العلاقة بين الفرق الكلامية: ويتجلى ذلك أيضا في العلاقة بين المعتزلة والأشعرية، وقد واجه الأشعرية وهو الفقهاء وعلى رأسهم ابن رشد المعتزلة مواجهة قوية، وأحيانا عنيفة عن طريق السلطة.

ج-مواجهة الزندقة: واجه القضاء والفقهاء هذه الظواهر بالقواعد الشرعية اللازمة في هذا الميدان مع الإجتهد اللازم.

د-مواجهة الشعوبية: حمى المسؤولون وحدة الأمة وخلقوا هذه الوحدة أيضا، وإلى غيرها من المظاهر⁽¹⁾.

فهي تتكون من سبع وخمسين وثلاثمائة مسألة، تضم في الأدنى موضوعا واحدا وفي الأقصى اثنا وعشرين موضوعا. قام بجمعها تلميذه الموافق؛ وهو أبو الحسن محمد بن عبد الرحمان الوزان (ت543ه)⁽²⁾. القرطبي الفقيه المحدث، ونسبها إليه.

وممن روى الفتاوى وحدثوا بها ونقلوها عنه:

- تلميذه أبو مروان عبد الملك بن مسرة بن فرج اليحصبي (ت552ه)⁽³⁾.

- وأيضا أبو الفضل عياض بن موسى السبتي (544ه).

(1) أبو الوليد ابن رشد (ت520ه): المسائل، تح: محمد الحبيب التجكاني، ط2، دار الآفاق الجديدة، المغرب، 1993م، مج1، صص102-103.

(2) في ترجمته: ابن بشكوال: الصلة، مج2، صص228-229؛ والضبي: بغية الملتمس، ج1، صص133-134.

-منه سمع عبد العزيز بن محمد بن أحمد العبدري أبو الأصغ الداني نوازل ابن رشد سنة أربع وثلاثين وخمسمائة للهجرة.

(3) ترجم له: ابن الزبير: صلة الصلة، تح: شريف العدوي، صص169-170؛ والضبي: بغية الملتمس، مج2، صص497.

- وتلميذه أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة القرطبي (ت575هـ)⁽¹⁾ الذي كان له سوالات لابن رشد مؤلف نفيس⁽²⁾.

- وأبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى بن بشكوال القرطبي (ت578هـ)⁽³⁾.

- وأبو الحسن علي بن عبد الله الجذامي المالقي (ت792هـ)⁽⁴⁾.

وله كتابه المسمى البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة من الأسمعة المعروفة بالعتبية لمحمد العتبي المتوفي سنة 225هـ، وهو كتاب عظيم نيف على عشرين مجلدا⁽⁵⁾.

استغرق تأليفه إثني عشرة سنة، وأودعه ابن رشد جميع معارفه الفقهية التي اكتسبها من دراساته الواعية المستوعبة للمدونة، وما كتبه عليها أئمة المذهب في نحو سبعة أجيال من شروح واختصارات وتعليقات ومن تأملاته وتجاربه الشخصية في التدريس والإفتاء والقضاء، فجاء خلاصة وافية محيطية بالفقه المالكي وعباداته⁽⁶⁾. اشتمل على آلاف المسائل المرتبة داخل أبواب كبرى أو كتب كما يسميها المؤلف مثل: كتاب الوضوء، وكتاب الصلاة... وكتاب النكاح... وكتاب البيوع... وكتاب الجنائيات... إلخ. حرره بأسلوب واضح يستوي في إدراكه المبتدئ والشادي وبأسلوب

(1) ابن الأبار: التكملة، مج2، ص209؛ والضبي: بغية الملتمس، مج1، صص104-105؛ ومحمد مخلوف: شجرة النور، ج1، صص220-221.

(2) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج19، ص502.

(3) انظر: ابن فرحون: الديباج المذهب، ص184؛ ومحمد مخلوف: شجرة النور، ج1، ص223.

(4) انظر في تعريفه: المقرئ: أزهار الرياض، ج2، صص5، 7.

(5) عياض: الغنية، ص54.

(6) ابن رشد: البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة-من الأسمعة المعروفة بالعتبية لمحمد العتبي القرطبي، تح: محمد حجي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م، ج1، ص5.

جزل وسلس.⁽¹⁾ فلقد بدأ في تأليف بطلب من بعض الأصحاب من أهل جيان، وبعض الطلبة من أهل شلب، هؤلاء اقترحوا استخراج المسائل المشكلة من العتبية، فتضبط رواياتها المختلفة، التي تعرضت للتصحيح والتحريف ثم تشرح⁽²⁾.

ومؤلفه على الكتب المدونة المسمى بالمقدمات الممهدة لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعية والتحصيلات المحكمات لأمهات مسائلها المشكلات فكان تأليفه طلبا من بعض كان يحضر مجالسه الفقهية أن يجمع ما كان يلقيه عليهم عن استفتاح أبواب المدونة، وفي أثناء بعضها مما يحسن المدخل به من معنى عنوان الباب، واشتقاق لفظه، وتبيين أصله من الكتاب والسنة، وما اتفق عليه أهل العلم من ذلك، واختلفوا فيه، ووجه بناء مسائله عليه، وردّها إليه وربطها بالتقسيم لها والتحصيل لمعانيها.

كما ألف ابن رشد -في آخر عمره- كتاب البيان والتحصيل، حيث طلبوا منه أن يضع له مقدمات يمهدها بها كل باب منه على غرار ما فعله بالمدونة، فعدت أجزاء المقدمات سبع وعشرين جزء.⁽³⁾

ومن مؤلفاته كذلك الإختصارات. دفاعا عن المالكية والأشعرية منها:

1- اختصار شرح معاني الآثار: والأصل لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي (ت321هـ) رئيس الحنفية بمصر على عهد الطولونيين.

(1) أنظر: المصدر نفسه.

(2) ابن رشد: المسائل، مج1، ص45.

(3) ابن رشد: المقدمات الممهدة لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعية والتحصيلات المحكمات لأمهات مسائلها المشكلات، تح: محمد حجي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م، ج1، ص5.
-وقد ناول ابن رشد محمد بن عبد الله بن الجد كتابه البيان والمقدمات.

-الاختصار عند ابن رشد لا يعني وضع المادة في أقل من حجمها الأول، ولكنه يعني بالدرجة الأولى تنظيم المادة ومناقشتها والإيراد عليها.

-فكلا الاختصارين للطحاوي دفاعا عن المالكية.

2- **اختصار مشكل الآثار:** والأصل لنفس المؤلف السابق أيضا.

3- **تلخيص الحسن والقبح:** وهو كتاب لمحمد بن أسعد بن أحمد بن نصر الحكيمي المعروف بابن حكيم الحنفي (ت567هـ)، ولعلّ كتابه شرح ودفاع عن نظرية جمهور الحنفية في الحسن والقبح، الذين يرون أن الحسن والقبح عقليات يدركهما العقل قبل الوحي، وهناك افتراض آخر هو أن ابن رشد هاجم في تلخيصه الحنفية والمعتزلة معا كعادته معهما، ودافع عن نظرية الأشعرية التي هي في نفس الوقت نظرية المالكية بالأندلس والمغرب.

4- **اختصار الكتب المبسّطة:** من تأليف اسماعيل بن يحيى بن إسحاق بن يحيى الليثي (ت303هـ) عالج الخلاف داخل المذهب في نطاق الرواية الفقهية.⁽¹⁾ وقبله اختصرها محمد وعبد الله ابنا أبانة بن عيسى.⁽²⁾

ومن ثمة فإنّ مؤلفاته ضمت أجزاء كثيرة في فنون من العلم مختلفة غير هذه الكتب المذكورة، فنشرت كتب وتواليفه ومسائله وتصانيفه، ولقت الإعتناء والإهتمام.

(1) ابن رشد: المسائل، مج1، ص ص62-65.

(2) عياض: ترتيب المدارك، ج6، ص ص300-301.

-يقول عياض: "جالسته كثيرا وسألته واستفدت منه، وسمعت بعض كتابه في اختصار المبسّطة من تأليفه، يقرأ عليه، وناولني بعضها، وأجازني الكتاب المذكور وسائر روياته"، الغنية، ص55.

-وفي التفصيل أكثر: ينظر: محمد بن حسن شرحبيلي: تطور المذهب المالكي في الغرب الإسلامي حتّى نهاية العصر المرابطي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 2000، ص ص535-543.

ثانيا - ابن رشد وحدود التحفظ على إشاعة الكلام الأشعري:

بعدما رأينا ما أخذ وقدم من منفعة علمية بإتقانه الأشعري، أيضا كان له موقفه من المذهبية الأشعرية الذي تجلّى في فتواه دالا على عدة مرجعيات.

1 - إجازة الكلام الأشعري:

تقلد أبو الوليد ابن رشد القضاء بقرطبة سنة إحدى وعشر وخمس مئة سار فيه أحسن سيرة وأقوم طريقة⁽¹⁾. فكان المفرع إليه في المشكلات، وكان الناس يلجؤون إليه، ويعولون في مهماتهم عليه، وقد كان مقدما عند أمير المؤمنين، عظيم المنزلة في العظام أيام حياته.⁽²⁾

عندئذ كان زمانه قد عرف تنامي لممثلي المذهب الأشعري وتكاثر أتباعه - كما سبق إيضاحه - فوَقعت إصطدامات بين مفكري العقيدة التسليمية التفويضية وبين مفكري العقيدة الأشعرية في الغرب الإسلامي، حتّى بات يشكل خطرا على الدولة المرابطية نفسها. وهذا ما دفع بالأمير المرابطي أبو الحسن علي بن يوسف بن تاشفين (ت 537هـ)⁽³⁾ أن يطلب من القاضي ابن رشد يستفسره عن المذهب الأشعري وعن أئمة ومن انتحل طريقتهم كأبي الحسن الأشعري والأسفراييني وأبي الوليد الباجي... وعن عدالتهم ومقدارهم، وجزاء من يسبهم ويكفرهم وينتقص منهم.

(1) المقري: أزهار الرياض في أخبار عياض، ضبطه وحققه وعلق عليه: مصطفى السقا وآخرون، منشورات مطبعة لجين، القاهرة، 1942م، ج3، ص60.

(2) عياض: الغنية، ص54.

(3) هو علي بن يوسف بن تاشفين المكنى أبا الحسن، أمير المسلمين بالعدوة والأندلس بعد أبيه، تصير إليه الملك بالعهد من أبيه عام سبعة وتسعين وأربعمائة، ثمّ ولي أمره يوم وفاته وهو يوم الاثنين مستهل محرم عام 500هـ، وكان ملكا عظيما، عالي الهمة، رفيع القدر، فسيح المعرفة، شهير العلم، عظيم السياسية، أنقذ الحق، واستظهر بالأذكياء.

والجدير بالإشارة أن علي بن يوسف بن تاشفين قد سار على نهج أبيه واشتد إيثاره لأهل الفقه والدين وكان لا يقطع أمرا في جميع مملكته دون مشاورة الفقهاء، فكن إذا ولى أحدا من قضاة كان فيها يعهد إليه إلا يقطع أمرا ولا بيت حكومة في صغير من الأمور ولا كبير إلا بمحضر أربعة من الفقهاء، فبلغ الفقهاء في أيامه مبلغا عظيما لم يبلغوا مثله في الصدر الأول من فتح الأندلس ولم يزل الفقهاء على ذلك وأمور المسلمين راجعة إليهم وأحكامهم صغيرها وكبيرها موقوفة عليهم طول مدته، فعظم أمر الفقهاء وانصرفت وجود الناس إليهم فكثرت لذلك أموالهم واتسعت مكاسبهم⁽¹⁾.

لهذا إضافة إلى الدافع السابق كان هذا ثاني دافع يجعل أمير المؤمنين يتجه إلى الفقيه ابن رشد طالبا فتواه.

ونص السؤال جاء مايلي:

"ما يقول الفقيه القاضي الأجل الإمام الأوحى أبو الوليد-وصل الله تسديده وتوفيقه ونهج إلى كل صالحه طريقه في الشيخ أبي الحسن الأشعري وأبي إسحاق الأسفراييني وأبي بكر الباقلاني وأبي بكر بن فورك وأبي المعالي وأبي الوليد الباجي وغيرهم، ونظرائهم ممن ينتحل الكلام، ويتكلم في أصول الديانات، ويصنف في الرد على أهل الأهواء، أهم أئمة إرشاد وهداية أم هم قادة حيرة وعماية؟ وما تقول في قوم يسبونهم وينتقصونهم ويسبون كل من ينتمي إلى مذهب الأشعرية، ويكفرونهم ويتبرؤون منهم، وينحرفون بالولاية عنهم، ويعتقدون أنهم على ضلالة، وخائضون في جهالة؟ يقال لهم، ويصنع بهم ويعتقد فيهم؟ أيتركون على أهوائهم أم يكن على غلوانهم؟ وعلى ذلك جرحه في أديانهم ودخل في إيمانهم؟ وهل تجوز الصلاة وراءهم أم لا؟ بين لنا مقدار الأئمة

(1) عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص130.

المذكورين ومحلهم في الدين، وأفصح لنا عن حال المنتقص لهم والمنحرف عنهم،
وحال المتولي لهم، والمحب فيهم مجملاً⁽¹⁾.

وإن هذا السؤال المطروح من قبل الأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين لا
يمكن أن تفهم دوافعه، إلا في إطار ما أحدثته دخول المذهب الأشعري إلى الغرب
الإسلامي من نقاشات حادة، وسجلات أعقبتها استقطابات عامة لمجموعة من أتباع هذه
العقيدة الجديدة، مما جعل المجتمع يعرف انقساماً إلى مؤيدين مناصريين يعتبرون
المذهب الأشعري مذهب الرشاد والهداية، وخصوم رافضين منتقدين يرونه مذهب
حيرة وعماية، حتى أن أصواتاً ارتفعت بتكفير كل أشعري، والتبرؤ منه، واعتباره على
ضلالة، وخائض في جهالة، فحار الخليفة أمام الأمر، فرفعه إلى مفتي الوقت وإمام
العصر أبي الوليد⁽²⁾.

فأجاب على ذلك بهذا الجواب وهذا نصه كالاتي:

"تصفحنا السؤال ووقفنا عليه، وهؤلاء الذين سميت من العلماء أئمة خير وهدى،
من يجب بهم الإقتداء، لأنهم قاموا بنصرة الشريعة، وأبطلوا شبه أهل الزيع
والضلالة، وأوضحوا المشكلات، وبينوا ما يجب أن يدان به من المعتقدات، فهم
لمعرفتهم بأصول الديانات العلماء على حقيقتهم لعلمهم بالله عز وجل، وما يجب له،
وما يجوز عليه، وما ينتقي عنه، إذ لا تعلم الفروع إلا بعد معرفة الأصول، فمن
الواجب أن يعترف بفضائلهم، وبقولهم بسوابقهم، فهم الذين عنى النبي صل الله عليه
وسلم - والله أعلم بقوله: [يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمُ مِنْ كُلِّ خَلْفٍ عَدُوًّا لَهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ
الْغَالِيْنَ وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِيْنَ وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِيْنَ]."

(1) أبو الوليد ابن رشد: الفتاوى، تقديم وتحقيق وجمع وتعليق: المختار بن الطاهر التليبي، ط1، دار الغرب
الإسلامي، بيروت، 1987م، ص ص 943-944.

(2) يوسف احناة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، ط2، دار أبي رفرق، الرباط، 2007، ص 91.

فلا يعتقد أنهم على ضلالة وجهالة إلا غبي جاهل، أو مبتغ زائع عن الحق مائل ولا يسبهم وينسب إليهم خلاف ما هم عليه إلا فاسق. وقد قال الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: 58]. فيجب أن يبصر الجاهل منهم، ويؤدب الفاسق، ويستتاب المبدع الزائع عن الحق إذا كان مشتهرا ببدعته، فإنّ تاب، وإلا ضرب أبدأ، حتّى يتوب كما فعل عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- بصيغ المتهم في اعتقاده من ضربه إياه حتّى قال له: يا أمير المؤمنين إنّ كنت تريد دوائي، فقد بلغت مني موضع الداء، وغن كنت تريد قتلي فأجهز علي، فخلي سبيله⁽¹⁾.

زيادة على ذلك كتب إليه الأمير أبو اسحاق بن أمير المؤمنين من مدينة إشبيلية سائلا عن أئمة الأشعرية هل هم مالكيون أم لا؟

فأجابه على ذلك: "لا تختلف مذاهب أهل السنة في أصول الديانات، وما يجب أن يعتقد من الصفات، ويتأول عليه ما جاء في القرآن والسنة والآثار من المشكلات، فلا يخرج أئمة الأشعرية بتكلمهم في الأصول واختصاصهم بالمعرفة عن مذاهب الفقهاء في الأحكام الشرعية التي يجب معرفتها فيما تعبد الله به عباده من العبادات، وإن اختلفوا في كثير منها فتباينت في ذلك مذاهبهم، لأنها كلها على اختلافها مبينة على أصول الديانات التي يختص بمعرفتها أئمة الأشعرية...."⁽²⁾*

ومنه يمكن القول أن جواب ابن رشد -على خلاف السؤالين- جاء واضحا جليا مفاده أنه أقر بأنّ أئمة الأشعرية هم إلى سبيل الخير والهدى والنصر ومما يجب الإقتداء بهم.

(1) ابن رشد: الفتاوى، ص ص 944-945.

(2) المصدر نفسه، ص ص 1060-1061.

* للتفصيل أكثر: ينظر أيضا: ديلفينا روانو: المرابطون وعلم الكلام الأشعري-جواب فتوى أم إضفاء الشرعية على معرفة هامشية-، تع: مصطفى بنسباغ، مجلة الإبانة، تطوان، ع: 2014/2-3، ص ص 352-360.

كان أبو الوليد ابن رشد قد أبدى موقفه معلنا عنه في فتواه، إلا أنه كان له موقف آخر ورأي آخر والذي شكل القسم الثاني من الفتوى.

2- التحفظ على إشاعة الكلام بين العوام:

ورغم الانتصار الذي أبداه ابن رشد لأعلام الأشعرية المشهورين، إلا أنه ظل وفيًا لمذهب أسلافه من أهل التسليم والتفويض، ملتزمًا بمنطلقاته، يؤمن بما نطق به القرآن، دونها الإستدلال على منطلقات الوحي أو اللجوء إلى طريقة النظر العقلي، في قوله: "وأما الإستدلال على ذلك بطريقة المتكلمين من الأشعريين، وإن كانت منطرق العلم الصحيحة فلا يؤمن من العنت على ركبها، والإنقطاع على سالكها، وبذلك تركه السلف المتقدم من أئمة الصحابة والتابعين، ولم يعولوا عليهم لا لعجزهم عنهم، فقد كانوا ذوي عقول وافرة، وأفهام ثاقبة، ولم يأت آخر هذه الأئمة بأهدى مما كان عليه أولها"⁽¹⁾.

"فمن الحق الواجب على من ولاه أمر المسلمين أن ينهى العامة المبتدئين عن قراءة مذهب المتكلمين من الأشعريين، ويمنعهم من ذلك غاية المنع مخافة أن تنبو أفهامهم على فهمها، فيضلوا بقراءتها، ويأمرهم أن يقتصروا فيما اعتقده يلزمهم من الإستدلال الذي نطق به القرآن، ونبه الله عباده في محكم التنزيل"⁽²⁾.

وذلك أن العامة غير قادرين على إستدراك مبادئهم وفهمها، لضعف تمكنهم، فذلك يحتاج إلى وقت طويل، أو تنبو أفهامهم جملة فيمرقون عن الدين، إلا من كان له حظ من العلم والفهم وذلك في قوله:

(1) ابن رشد: الفتاوى، ص ص 970-971.

(2) المصدر نفسه، ص 971.

"وأما من شدا في الطلب، وله حظ وافر من الفهم، فمن الحظ له أن يقرأها، إذا وجد إماما فيها يفتح عليه منغلقتها، لأنه يزداد بقراءتها والوقوف عليها بصيرة في اعتقاده ويعرف بذلك فساد المذاهب أهل البدع، واضمحلال شبههم، فيمكن الرد عليهم، ويجوز بذلك وجه الكمال في العلم... هذا الواجب فيما سألت عنه لا ما حكيتَه عن الطائفة المذكورة، من أنه يتعين على العالم والجاهل قراءة مذاهب المتكلمين الأشعريين... حتى يعرفوا الله تعالى من تلك الطريقة الغامضة البعيدة، قد لا يصلون إلى معرفته من تلك الطريقة إلا بعد مدة طويلة، أو تنبو أفهامهم عنها جملة فيمرقون عن الدين ويخرجون من جملة المسلمين"⁽¹⁾.

إن كان موقفه صريح وخاصة إذا تعلق الأمر بتعميم الآراء الكلامية الأشعرية في أوساط العامة، وجعلها متناولة لدى الجميع من قبل هؤلاء المعتنقين لها، بأنه يتعين على ولاية الأمر نهى العامة والمبتدئين عن قراءة مذاهب المتكلمين من الأشعريين ومنعهم أشد المنع⁽²⁾، خوفا من الدخول في جو الفوضى والتشويش على فكرهم ومعتقداتهم حتى لا يضلوا ويقعوا في طائفة الضياع.

وقبول فقهاء المالكية للعقائد الأشعرية مع حرصهم على عدم تسرب شيء منها إلى العامة يتجاوز وموقف أهل السنة القاضي بالحيولة دون خوض العوام في علم الكلام، بل ويتجاوز -بشكل أخص- وموقف الإمام مالك، الذي تظهره لنا الرواية المالكية، أعلم الناس بالرد على أهل الأهواء، إلا أنه يحترز من الخوض في المسائل الكلامية إلا إذا خلا المجلس، ويكره أن يتطرق إليها بحضرة عامة الناس⁽³⁾.

(1) ابن رشد: الفتاوى، ص ص 971-972.

(2) لخضر بولطيف: فقهاء المالكية، ص 141.

(3) لخضر بولطيف: فقهاء المالكية، ص ص 141-142.

وفي هذا الصدد يأتي تأويل آخر للفتوى مغالطا لها، حيث مثله **عابد الجابري** فقرأها قراءة تجعل من صاحبها يخرج من مستوى التأويل إلى حافة التحريف للكلام عن مواضعه والإصرار على فهمه بالمقلوب وبخلاف مقصد وصريح كلام صاحبه، مما يجعل من ذلك التأويل تأويلا إسقاطيا بامتياز، سواء من حيث فهمه لتلك الفتوى أو طريقتة في نشرها، وتشديده على فقرات منها دون أخرى، وتعتمد عزل هذه الفقرات عن سياقها.

وهكذا يمهد الجابري لنص فتوى ابن رشد بالإشارة إلى دعواه حول القطيعة المتمثلة هنا في كون مالكية الغرب الإسلامي على الصعيدين المرابطي والموحدي كانوا رافضين للأشعرية وميالين للظاهرية، مقابل فقهاء المشرق الذين كانوا أقرب إلى الأشعرية، وأنفر من الظاهرية... وحثه في ذلك هذه الفتوى الشهيرة لابن رشد الجد التي يسارع الجابري إلى اعتبارها مطابقة لموقف ابن رشد الحفيد الطاعن رأسا في مشروعية علم الكلام جملة، والكلام الأشعري منه خاصة، والداعي إلى منع الإشتغال به، وحمل السلطة السياسية على تنفيذ ذلك بالمنع، وحتى لا يفهم دفاع ابن رشد عن الأشعرية ونهجها الكلامي أحيانا أخرى⁽¹⁾.

ومهما يكن من أمر، فإن ردود ابن رشد جاءت في اتجاه مواصلة التمسك بالإتزان والحذر وعدم الإندفاع، ولعل ذلك ما يعبر عن عقلية ترى نفسها منتصرة

(1) يراجع في هذا الأمر: عبد المجيد الصغير: مراجعة نقدية لتأويلات إسقاطية حول ترسيم الأشعرية في العصرين المرابطي والموحدي، مجلة الإبانة، تطوان، ع: 2014 / 2-3، ص 82، ص 84. وهناك من يدلي أن السؤال يشير إلى وجود اتجاه في المغرب كان أصحابه ينقمون على علماء الأشعرية ومن ينتحل علم الكلام عموما، للمزيد أنظر: إبراهيم التهامي: الأشعرية في المغرب-دخولها، رجالها، تطورها وموقف الناس منها، ط1، دار قرطبة، الجزائر، 2006م، ص39.

ووثيقة من مكتسباتها، ولا ترى أية فائدة في فتح الباب أمام التأويل والكلام، والعمل على تطوير العقيدة عند الحاجة⁽¹⁾.

إذن كانت فتوى ابن رشد صريحة وواضحة، فقد أنصف هؤلاء الأشاعرة، واعتبر أئمتهم أئمة خير وهدى، وممن يجب الإقتداء بهم، لأنهم قاموا بنصرة الشريعة، وأبطلوا شبه أهل الزيغ والضلالة، كما أنه لم يحمّله على محاربتهم، ومعاداة معتققيهم بل على العكس من ذلك فقد كان مؤيدا لأئمة الشعريّة - كما جاء في جوابه - فلم يرض أن يوصفوا، بالكفر والضلال، أو أن يوصفوا من طرف الجهلة المتعصبين، إلا أنه في المقابل كان متشددا اتجاه تعميم الآراء الكلامية الأشعرية في أوساط العامة، واستثنى من ذلك من تتوفر فيه شروط هذا العلم، وهي التسليح بشروط هذا العلم وأن يدرس الكلام على عالم متمكن⁽²⁾.

ونخلص إلى القول أن أبا الوليد بن رشد تمكن من مشيخته أن يضع لنفسه علما غنيا من شتى العلوم النقل خاصة منها، فجسد ذلك في كتبه ومؤلفاته، كما توليه لمنصب القضاء وفقهه الغزير، جعل السلطة المرابطية تطلب فتواه بخصوص الأشعرية التي عرفت انتشارا وذبوعا آنذاك، فكان مؤيدا لها داعما لها، إلا أنه بشأن العامة تشدد في ذلك حرصا من التشويش والضلال أحيانا أخرى.

(1) لخضر بولطيف: المرجع السابق، ص ص 141-142.

(2) ينظر في نفس التأويل:

-يوسف احناة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، ص ص 90-94؛ لخضر بولطيف: فقهاء المالكية، ص ص 138-142؛ ومصطفى مغزاوي: البعد السياسي في انتشار المذهب الأشعري في المشرق الإسلامي ومغربه، منشورات مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، 2011، ص ص 22-23؛ ولطيفة الوردية: تطور موقف فقهاء المغرب من علم الكلام إلى حدود العصر المرابطي، مجلة الإبانة، تطوان، ع: 2014 / 2-3، ص ص 69-71.

الفصل الرابع:

الأشعرية بين التوظيف السياسي والتكريس العلمي

أولاً: التوظيف السياسي للأشعرية.. مرشدة ابن تومرت

1- التكوين الأشعري التومرتي.

2- المرشدة ودعمها السياسي.

ثانياً: التكريس العلمي للأشعرية.. برهانية السلاجي

1- التلقين الأشعري للسلاجي.

2- البرهانية السلاجية وشروحها.

مع هذه المرحلة الجديدة، يستمر نشر الأشعرية يكون متزعمها كل من ابن تومرت موظفا الجانب السياسي في ذلك في المقابل نجد المفكر الفاسي السلاجي مكرسا الجانب العلمي.

أولا - التوظيف السياسي للأشعرية.. مرشدة ابن تومرت:

إن ابن تومرت في تكوينه الأشعري قد استقى الأشعرية من أصحابها فكانت رحلته مغربا ومشرقا.

1 - التكوين الأشعري التومرتي:

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت (ت524ه/1130م) المنعوت بالمهدي الهرغي، كان ينتسب إلى الحسن بن علي بن طالب رضي الله عنهما، أصله من هرغة من بطون المصامدة، كان يلقب في صغره أمغاري وهذا فإن اتفق عليه جل المؤرخين⁽¹⁾. فإن أشعريته كان محل جدل الكثير من المؤرخين بين ناف ومؤكد.

وهناك من يقول أن ابن تومرت كان مذهب الظاهرية وهو الشاطبي (ت790ه) كونه الوحيد الذي أقر بذلك في قوله: "وكان مذهب البدعة الظاهرية"⁽²⁾، إلا أن هذا الطرح مستبعد لعدة أسباب⁽³⁾.

(1) ابن خلدون: العبر، ج6، ص301؛ والسملالي: الإعلام، ج4، ص58، 59؛ والذهبي: سير الأعلام، ج19، ص539؛ وأبو العباس شمس الدين بن خلكان (ت681ه): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1997م، مج5، ص45-46؛ ومخلف: شجرة النور، ج1، ص204؛ وابن القاضي: جذوة الاقتباس، ص205.

(2) أبو إسحاق: إبراهيم بن موسى الخمي الشاطبي (ت790ه): الاعتصام، نشر: أحمد عبد الكافي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م، ج1، ص187.

(3) ينظر في الأمر: لخضر بولطيف: فقهاء المالكية، ص130-132.

في حين نجد من الدلالات من تبدي مالكية ابن تومرت، وذلك ما ضمت قائمة شيوخ العلم الذين تلقى عنهم في رحلته، حملت ثلاثة أسماء من فقهاء المالكية، وهم بن حمدين (ت508هـ) لقيه بقرطبة، والمازري (ت536هـ) بالمهدية والطرطوشي (ت520هـ) لقيه بالاسكندرية.

ونتساءل فيما إذا أخذ عن هؤلاء أثر فيما أبداه من وفاء لعدد من المقدرات المالكية كإقراره بحجية عمل أهل المدينة، وإقباله على الإعتناء بتدريس موطأ مالك في صيغة المعدلة التي حملت اسم محاذي الموطأ، أم أنه لم يقصد من وراء ذلك سوى بذل لترضية الإتجاه المالكي السائد⁽¹⁾.

فيؤكد الاقتراح الأول عبد المجيد النجار أن آراءه في جانبها الأصولي الفقهي أقرب إلى المالكية في أصولها عند مؤسسها منها إلى أي مذهب آخر⁽²⁾. وهو ما يحمل على الإعتقاد على أن ابن تومرت وإن كان يدين للمذهب المالكي-على الأقل- في تكوينه، إلا أنه لم يقع تحت أي ضغط ألجأه إلى تقديم تنازل أو بذل ترضية⁽³⁾.

وهناك وصف آخر يتفق عليه أكثر المترجمين أن ابن تومرت كان على رأي أبي الحسن الأشعري (ت324هـ) في أكثر المسائل، وممن تبناوا هذا الوصف، عبد الواحد المراكشي (ت647هـ) وأيضا الذهبي (ت748هـ) في قوله أن كان جل ما يدعو إليه على رأي الأشعري.

وأیضا ابن خلدون (ت808هـ) أنه ألف العقائد على رأي الأشعرية وكذلك قول القلقشندي (ت821هـ) أنه طعن على أهله في الوقوف مع الظاهر وحملهم على القول

(1) ينظر في الأمر: لخضر بولطيف: فقهاء المالكية، صص132-134.

(2) عبد المجيد النجار: المهدي بن تومرت-حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1989م، ص505.

(3) بولطيف: المرجع السابق، ص134.

بالتأويل والأخذ بمذهب الأشعرية في جميع العقائد وألف العقائد عليه وأخذ بمذهب الأشعرية أهل السنة⁽¹⁾.

كما أنه لم يسلم من نقده ووصفه بأنه كان على المذهب الاعتزالي وخاصة موقفه من مسألة الصفات، حيث توافق معه في نفيها وفي مسائل قليلة غيرها على حد تعبير كل من المراكشي والذهبي⁽²⁾.

وكان الشك كذلك حول شيعته، فيقول في ذلك عبد الواحد المراكشي أنه كان يبطن شيئاً من التشيع، غير أنه لم يظهر منه إلى العامة شيء⁽³⁾.

وأيضاً الناصري (ت1315هـ) أنه ما أتى بطريقة الأشعرية الخالصة بل مزجها بشيء من الخارجية والشيعية، حسبما يعلم ذلك بإمعان النظر في أقواله وأحواله وأحوال خلفائه من بعده⁽⁴⁾.

ومهما يكن، فإن ابن تومرت استطاع أن يكون منظومة مستفيداً من سائر المذاهب مادة ومذهباً.

وقد كان أهل بيته أهل نسك ورباط وشب قارئاً محباً للعلم، فارتحل في طلب العلم إلى المشرق على رأس المئة الخامسة ومر بالأندلس ودخل قرطبة وإذ ذاك دار علم، فلقي هنا أبا عبد الله محمد بن علي بن محمد بن عبد العزيز بن حمدين التغلبي

(1) أبو محمد بن علي عبد الواحد المراكشي (ت647هـ): المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرحه واعتنى به: صلاح الدين الهواري، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 2006، ص141؛ والذهبي: السير، ج19، ص54؛ وابن خلدون: العبر، ج6، ص302؛ وأبو العباس أحمد بن علي القلقشندي (ت821هـ): صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1915م، ج5، ص136.

(2) المراكشي، المصدر السابق، ص141؛ والذهبي: العبر في خبر من غبر، تح: أبو هاجر زغلول، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985م، ج2، ص423.

(3) المراكشي: المصدر السابق، ص141.

(4) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري السلاوي (ت1315هـ): الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتب، الدار البيضاء، 1956م، ج1، ص62.

(508هـ) أجل رجال الأندلس وزعيمها في وقته، ومقدمها جلاله ووجاهة وفهما ونباهة، مع النظر الصحيح في الفقه والأدب البارِع والتقدم في النظر والنظم، تقلد الشورى بقرطبة لأول الدولة المرابطية ثم ولي قضاء الجماعة بها سنة تسعين، له رسائله وردوده على الغزالي ورسائله لابن الشماخ وأيضا إجازة من أبي عمر بن عبد البر⁽¹⁾.

ثم مر بالمهدية فأخذ عن الإمام أبي عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي المازري (ت336هـ) صاحب شرحكتاب مسلم وكتاب التلقين للقاضي أبي محمد، وشرح البرهان لأبي المعالي الجويني وغير ذلك، المعروف بتحقيق الفقه ورتبة الإجتهد ودقة النظر، فكان أفقه وأقوم المالكية لمذهبهم، سمع الحديث، مطلعا على علوم كثيرة وإليه المفزع في الفتوى طبا وفقها⁽²⁾.

ثم أجاز إلى الإسكندرية وحج، ودخل العراق، فلقى أبا بكر الشاشي محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر الشاشي (ت507هـ) الإمام العلامة، شيخ الشافعية، مصنف المستظهري في المذهب، الذي ولي تدريس النظامية بعد الغزالي، فلقد أخذ عليه ابن تومرت شيئا من أصول الفقه وأصول الدين⁽³⁾.

وأیضا سمع الحديث على أبي الحسين المبارك بن عبد الجبار بن أحمد بن القاسم (ت500هـ)، الشيخ الإمام المحدث، العالم المفيد، صحيح الأصول، كتب الكثير،

(1) في ترجمته: عياض: الغنية، ص46؛ وابن بشكوال: الصلاة، مج2، ص204؛ والمقري: أزهار الرياض، ج3، صص95-96؛ والذهبي: سير الأعلام، ج19، ص422.

(2) عياض: المصدر السابق، ص65؛ وابن فرحون: الديباج المذهب، صص374-375؛ محمد مخلوف: شجرة النور الزكية، ج1، صص186-188.

(3) الذهبي: المصدر السابق، ج19، صص393-394؛ والحجوي: الفكر السامي، الربع الرابع، ص164.

ابن عساكر: تبیین كذب المفتری، صص306-307؛ والصفدي: الوافي بالوفيات، ج4، ص103.

وسمع الناس بإفادته ومتعته الله بما سمع حتى انتشرت عنه الرواية، وصار أعلى البغداديين سماعاً⁽¹⁾.

وقيل أنه لقي أبا حامد محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي الغزالي (ت505هـ)، صاحب التصانيف والذكاء المفرط، حجة الإسلام، وأشهر الأعلام، برع في المذهب والخلافات والجدل والأصليين له في المذهب: البسيط والوسيط والوجيز والخلصة. وفي الأصول: المستصفي؛ وهو أحسن ما ألف فيه، حسن الأسلوب، فصيح العبارة، وقد طبع. ومن أفضل مؤلفاته إحياء علوم الدين، بل من أحسن ما ألف في الإسلام في بابيه، وهي في فلسفة علوم الدين وله كتب غيرها⁽²⁾.

واستفاد كذلك من أبي الحسن علي بن محمد بن علي الطبري الهراسي، (ت504هـ) المعروف بالكيا الهراسي، العلامة شيخ الشافعية ومدرس النظامية، صاحب كتاب البيان، وقد صنف كتاباً في الرد على مفردات الامام أحمد⁽³⁾.

وكر ابن تومرت راجعاً إلى الإسكندرية، فأقام بها يختلف إلى مجلس أبي بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهري (ت520هـ) المعروف بالطرطوشي، الإمام العلامة، القدوة الزاهد، شيخ المالكية، تفقه بأبي بكر الشاشي، والباجي، شرح وألف تأليف حسان منها: تعليقه في مسائل الخلاف وفي أصول الفقه، في خمسة أسفار، وله كتاب كبير يعارض به كتاب الإحياء، وصنف كتاب سراج

(1) الذهبي: المصدر السابق، ج19، ص213 ص214.

(2) ترجمته متعددة المصادر: الذهبي: سير الأعلام، ج19، ص322-323؛ وابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب، ج2، ص379؛ وابن عساكر: تبيين كذب المفتري، ص291-306؛ الحجوي: الفكر السامي، الربع الرابع، ص163؛ وابن قنفذ: الوفيات، ص266.

إلا أن لقاء ابن تومرت بأبي حامد الغزالي قد أثار جدل الكثير من المؤرخين وللتعمق أكثر وبايضاح الأدلة، ينظر: عبد المجيد النجار: المهدي بن تومرت، ص73-83.

(3) ابن عساكر: تبيين كذب المفتري، ص288-291؛ والحجوي: الفكر السامي، الربع الرابع، ص163-164؛ الذهبي: سير الأعلام، ج19، ص350-352.

الملوك للمأمون بن البطائي المصري، ومم أخذ عنه الإجازة: القاضي عياض بجميع رواياته ومصنفاته⁽¹⁾.

كما قرأ أيضا على أبي عبد الله الحضرمي إلا أن هذا الأخير، بحث في ترجمته ولم نعثر عليه إلا حسب هذا النثر القليل حسب ما أدلى به صاحب **الحلل الموشية**⁽²⁾.
فقد لقي جملة من العلماء يومئذ وفحول النظائر، وأفاد علما واسعا وحمل طرفا صالحا من علم الشريعة والحديث النبوي وأصول الفقه والدين وغيرها من مختلف العلوم.

وهكذا بعد تنقلاته التي تداولت مغربا ومشرقا، والتي كانت لها تداعياتها ونتائجها، تجلّى مشروعه السياسي العلمي بالمغرب، المتمثل في رسالته المرشدة.

2- المرشدة ودعمها السياسي:

فقد انطوى ابن تومرت راجعا إلى المغرب، بحرا متفجرا من العلم ومن الدين، وكان قد لقي بالمشرق أئمة الأشعرية من أهل السنة وأخذ عنهم واستحسن طريقتهم للإنتصار للعقائد السلفية، والذب عنها بالحجج العقلية الدافعة في أهل البدعة، وذهب إلى رأيهم في تأويل المتشابه من الآيات والأحاديث⁽³⁾، في صورة الأمر بالمعروف، الناه عن المنكر، داعيا الناس إلى سلوك هذه الطريقة وجزم بتضليل من خالفه بل

(1) ترجم له الكثير: الصلاة، مج2، ص ص210-211؛ والغنية، ص ص62-64؛ وبغية الملتمس، ص ص171-

179؛ أزهار الرياض، ج3، ص162؛ ونفح الطيب، ج2، ص85؛ والديباج المذهب، ص ص371-372.

(2) مؤلف مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح: سهيل زكار وعبد القادر ذمامة، ط1، دار الرشد الحديثة، الدار البيضاء، 1979م، ص104.

(3) عبد الرحمن بن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: خليل شحادة، مر: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000، ج6، ص302؛ وأبو بكر علي الصنهاجي البيذق (ت555هـ): أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور، الرباط، 1971، ص؟؟.

بتكفيره، مسميا أتباعه الموحدين تعريضا بمن خالف طريقته ليس بموحد⁽¹⁾، متهما المرابطين بالتجسيم والتشبيه.

منتحلا هذه الصفة منذ حلوله بطرابلس ثم بجاية التي أظهر بها تدريس العلم والوعظ واجتمع عليه الناس، ومالت إليه القلوب، إلا أنه أمر بالخروج فنزل بضیعة ملالة وبها لقيه عبد المؤمن بن علي فسأله بصحبته وأعانه على ما هو بصدد همن إماتة المنكر وإحياء العلم فأجابه لما أراده، وصولا إلى تلمسان وحلوله بمراكش، حيث جرت له مناظرة من قبل فقهاء المرابطين.

إذ لم تكن له دراية بعلم الكلام إلا مالك بن وهيب فناصح أمير المسلمين بإخراجه⁽²⁾، فخرج هو وأصحابه متوجها إلى سوس منه قامت دعوته، ولما نزل اجتمع عليه وجوه المصامدة، فشرع في تدريس العلم والدعاء إلى الخير سنة 515هـ، فجهر بدعوته الأشعرية، فصنف لهم عقيدة بلسانهم وكان أفصح أهل زمانه في ذلك -اللسان البربري-⁽³⁾.

فكانت عقيدته هذه المسماة بالمرشدة، وهي رسالة وجيزة، لا تتجاوز الصفحتين وسميت كذلك لأن افتتاحها كان بعبارة "أعلم أرشدنا وإياك... "فصار هذا الافتتاح علما عليها⁽⁴⁾. حيث كانت مضامين هذه الرسالة الوجدانية، ووجدانية الله سبحانه عن الإلهية واجبة.

(1) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري السلوي (ت1315هـ): الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتب، الدار البيضاء، 1956م، ج1، ص62.

وأیضا لأجل خوضهم في علم الاعتقاد الذي لم يكن أحد من أهل ذلك الزمان في تلك الجهة يخوض في شيء منه، المراكشي، المعجب، ص150.

(2) شمس الدين ابن خلكان (ت681هـ): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1977م، مج5، ص47 ص50.

(3) ابن خلدون: المصدر السابق، ص303.

(4) عبد المجيد النجار: المهدي بن تومرت، ص ص447-448.

إذ بتقدير إلهين لم يصح انفراد أحدهما بمقدوره على الآخر كان عاجزا متهورا وإن صح انفراده، كان الآخر عاجزا عن المماثلة واللازم في حق أحدهما لازم في حق الآخر من القهر والعجز، والقهر والعجز مناقضان وصف الإلهية، فصدور المنع دل على وجوب وحدانية الصانع، لقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [النساء: 22].

وقدرته سبحانه على الخلق دليل على حياته والقيوم معناه القائم على الخلق بالإطلاع، والتسيير لشؤونهم، والقائم بملكوت السماوات والأرض، فلا يلحقه نقص ولا تغيير ولا نوم، وله العلم بكل شيء، وكذلك في قوله في أسماء الله الحسنى فلا يجوز فيها الإصطلاح ولا الإنشقاق ولا القياس، لأنها موقوفة بإذنه، قال الله تعالى: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [الأعراف: 180]. فله الحق في عباده، عدله وفضله.

أما الكلام في الجهات: أنه البارئ سبحانه وتعالى قديم، فاستحال عن المكان والزمان، وأيضا قوله: ليس للأوهام ولا للخيال ولا للتمثيل في حق البارئ سبحانه مجال. وختم العقيدة بقوله: وهو السميع البصير⁽¹⁾.

وكان المهدي نفسه يوليها عناية بالتبليغ والتدريس، وترجح أن تكون من مؤلفاته الأولى حين نزوله ببلده، إثر رحلته إلى المشرق، وذلك حسب ما جاء في قول ابن خلدون: "فنزل على قومه، وبني رابطة، اجتمعت إليه الطلبة والقبائل يعلمهم المرشدة في التوحيد باللسان البربري"⁽²⁾. فلما فهموا معاني تلك العقيدة، زاد تعظيمهم له، وأثربت قلوبهم محبته وأجسامهم طاعته⁽³⁾.

(1) محمد بن خليل السكوني (ت652هـ): شرح مرشدة ابن تومرت، دراسة وتحقيق: يوسف احناة، ط1، دار الغرب

الإسلامي، بيروت، 1993م،

(2) ابن خلدون: المصدر السابق، ص303.

(3) عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص140.

ومن الواضح من نص العقيدة أنّها في جملتها حملت الطابع الأشعري الخالص، معتمدا على مناهج ومبادئ الأشاعرة وأقوالهم، وخلوها من أية ظاهرة مخالفة للأشعرية، وخاصة فيما تعلق الأمر بمسألة الإمامة والعصمة. ثمّ إنّ بساطتها ومجازتها وبلاغتها؛ وفي حجمها الذي لم يبلغ صفحتين، كانا سببا في انتشارها، وتناولها من قبل العامة التي كانت متوجهة إليهم؛ خاصة تقدمهم بذلك.

ويؤكد ذلك **يوسف احنانة** بأنها كانت تدرس في حلقات الدرس، وفي الجوامع والمدارس بالغرب الإسلامي⁽¹⁾.

أما ثالث سبب لما لفته من عناية ورعاية سياسية من طرف ابن تومرت-سبق الحديث عنها- ومن طرف خليفته **عبد المؤمن بن علي (ت554هـ)** الذي كان مؤثرا لأهل العلم، محبا لهم، محسنا إليهم يستدعيهم إلى الكون عنده والجوار بحضرته⁽²⁾.

فلقد اعتنى بمؤلفات ابن تومرت فرتبها في سفر جامع عرف بأعز ما يطلب⁽³⁾ بل وكان بنفسه يتولى تدريس مسائل من هذه المؤلفات وعلى رأسها المرشدة في مجالس يعقدها بغرض التدريس، كما كان يأمر بأن يقرأ بعض منها للتبرك عند العزم على القيام بمهمات الأمور وخاصة عند العصر حتّى سار عليه بنوه من بعده، ويصف لنا ذلك **المراكشي**: "ولا بد في كلّ مجلس عام أو خاص يجلس الخليفة منهم أي من الخلفاء الموحدين من حضور هؤلاء الطلبة الأشياخ منهم؛ فأول ما يفتتح به الخليفة مجلس مسألة من العلم يلقيها بنفسه ولا ينفصلون من مجلس من مجالسهم إلا على الدعاء، يدعو الخليفة ويؤمن الوزير جهرا يسمع من بعد من الناس، ثمّ إذا سافر، ولا يزال القرآن

(1) يوسف احنانة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، ط2، دار أبي رقرق، الرباط، 2007، ص129.

(2) في ترجمته: السملالي: الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، مر: عبد الوهاب بن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1993م، ج9، ص ص391-392؛ البيزق: أخبار ابن تومرت، ص34؛ والمعجب، ص148.

(3) محمد بن تومرت: أعز ما يطلب، تقديم وتحقيق: عمار طالبي، دار الثقافة العربية، الجزائر، 2007،

يقرأ بين أيديهم بالغدو والعشي ركبانا، وإذا نزلوا فأول شيء يصنعونه في أول نهارهم بعد صلاتهم الفجر، أن يخرج من ينادي الإستعانة بالله والتوكل عليه⁽¹⁾ هذه عندهم للركوب، فحينئذ يركب الناس، ويخرج الخليفة من خيمته راكبا وأعيان القرابة وأشياخ الموحدين بين يديه مشاة خطوات كبيرة، ثم يأمرهم بالركوب فإذا ركبوا وقف وبسط يديه ودعا، فإذا فرغ الدعاء، افتتح طلبته الموحدين خلفه، فيقرأون حزبا من القرآن في نهاية الترتيل وهم سائرون سيرا رفيقا ثم شيئا من الحديث ثم يقرأون توالييف ابن تومرت في العقائد بلسانهم وباللسان العربي، فإذا فرغ وقف الخليفة أيضا وبسط يديه ودعا⁽²⁾.

كما أنه لم يقف عند هذا الحد بل أصدر مرسوما يأمر فيه عامة الناس بأن يشتغلوا بقراءة مؤلفات ابن تومرت في العقيدة أمرا إلزاميا وعلى جميع المستويات⁽³⁾. ومن ذلك كأنه يستدعي الصبيان الصغار إلى حضرته لتعليمهم ويحفظهم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ثم أمرهم بكتب التوحيد وحفظه وكتب موطأ الإمام مالك-رضي الله عنه-⁽⁴⁾.

فألق أبا العباس أحمد بن عبد الحرمن بن الصغير الأنصاري (ت559هـ)
القاضي الإمام بجملة طلبة العلم، وتحفا به وقدمه إلى الأحكام، بحضرة مراکش، فقام

(1) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص246.

-إلا أن هناك من يقول أن عقيدة المرشدة لم يضمنها أي عنصر من عناصر التأويل الأشعري، وظل جوهرها يناسب الموقف السلفي بنفس القدر الذي يناسب الأشعرية خاصة في تناول الصفات؛ للمزيد يراجع: محمد المغزاوي: تطور المذهب الأشعري بالمغرب...ضمن كتاب جماعي التاريخ والفقهاء، تنسيق: محمد حجي، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2002، ص150.

(2) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، صص246-247.

(3) عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ص404.

(4) أبو محمد ابن القطان: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، درسه وقدم له وحققه: محمود علي مكّي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م، صص178-179.

بهامدة، ثم ولاء قضاء غرناطة ثم نقله إلى إشبيلية قاضيا بجامع ولي عهده، فلقد تلقى مبادئهم، وبرع في عقيدتهم وعملها للناس، فبيلغ المرشدة ويدافع عنها⁽¹⁾.

وقد أدت هذه السياسة في نشر مؤلفات ابن تومرت؛ ونخص بالذكر المرشدة وإشاعتها إلى أن أخذت طريقها بين عامة الناس، وجرت بها دروس العلماء وشروحهم في مختلف الآفاق المغربية والأندلسية حتى منها شرح أبي عبد الله محمد بن خليل السكوني (ت 895هـ) فهدفوا إلى توضيح معاني هذه العقيدة والكشف عن مضامينها وليؤكدوا من جانب آخر الدور الذي قامت به هذه المرشدة من تدعيم وتثبيت دعائم المذهب الأشعري بالغرب الإسلامي، بحيث أنها شكلت وعلى امتداد قرون إطارا مرجعيا لأشاعرة الأندلس والمغرب⁽²⁾، حتى وصل صيتها إلى الجهة المشرقية.

فابن تومرت في سعيه لترسيخ المذهب الأشعري في المغرب الإسلامي قد ساهم بأعماله مستغلا ما اكتسبه من علوم في رحلته المشرقية، وأيضا معتمدا على العمل السياسي ما قام به هو بنفسه وما قام به خلفاؤه.

(1) لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، حقق نصه ووضع مقدمته وحواشيه: محمد عبد الله عنان، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1973م، مج1، ص 182، 183، 184.

(2) محمد بن خليل السكوني: المصدر السابق، ص 5-6.

ويراجع بهذا الصدد أيضا: مصطفى مغراوي: البعد السياسي في انتشار المذهب الأشعري في المشرق الإسلامي ومغربه، منشورات مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، 2011م، ص 87-801.

ثانيا - التكريس العلمي للأشعرية.. برهانية السلاجي:

ومن بعد ابن تومرت يظهر المفكر الفاسي أبو عمر عثمان السلاجي الأصولي، الذي عرف بأشعريته الخالصة، وذلك بعد أخذه عن جلة من العلماء.

1 - التلقين الأشعري للسلاجي:

الشيخ الإمام الأصولي أبو عمرو عثمان بن عبد الله القيسي القرشي (ت 594/1197م)⁽¹⁾ المعروف بالسلاجي، من بيت السلاجي بفاس، وهو بيت ثروة وفقه، وشهرته بالسلاجي لسكناه بجبل سليلجو. كان فقيها عالما محصلا، فاضلا زاهدا من أهل العلم والعمل، صار إمام أهل المغرب في علم الاعتقاد. وذلك بعد أن دخل مراكش واخذ عن أهلها، ثم قدم فاس، وأخذ بها عن أبي الحسن علي بن إسماعيل بن حرزهم (ت 559ه)⁽²⁾، الفقيه الحافظ للفقهاء، من أهل التحقيق، مشاركا في علم الشريعة، أحكم كتاب إحياء الغزالي وضبط مسأله، وكان يستحسنه ويثني عليه.

(1) ابن الأبار: التكملة، مج3، ص319؛ والتادلي: التشوف، صص198-201؛ والسملالي: الإعلام، ج9، صص6-7؛ وأبو عبد الله بن عيشون (ت1109ه): الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، دراسة وتحقيق: زهرة النظام، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1997م، صص193-195؛ ومخلف: شجرة النور، ج1، ص234؛ وأبو الوليد إسماعيل بن الأحمر (ت810ه): بيوتات فاس الكبرى، دار المنصور، الرباط، صص45-46؛ وابن للقاضي: جذوة الإقتباس، صص198-199؛ وعبد الهادي التازي: جامع القرويين، موسوعة لتاريخها المعماري والفكري، ط1، دار نشر المعرفة، الرباط، 1972، مج1، ص169؛ وابن قنفذ: الوفيات، ص288.

(2) التتبعي: نيل الإبتهاج، صص309-310؛ وكفاية المحتاج فيما ليس في الديباج، دراسة وتحقيق: محمد مطيع، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2000، ج1، ص330؛ وابن قنفذ: أنس الفقير وعز الحقيير، اعتنى بنشره وتصحيحه: محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965م، صص12-20؛ والوفيات، ص283؛ والتكملة، مج3، ص309؛ وابن عيشون: المصدر السابق، صص58-70؛ وشجرة النور، ج1، ص234؛ وابن الأحمر: البيوتات، ص66؛ والتازي: المرجع السابق، ج1، ص168.

أخذ عنه السلاجي الفقه وعلوم الأخلاق، وعلى يديه تبصر في مواضع من كتاب الإرشاد للجويني (ت478هـ) فهما واستظهره حفظاً⁽¹⁾. ثم رحل إلى مدينة بجاية، وعزم على الرحلة منها إلى المشرق في البحر في مركب لفهم الكتاب أي الإرشاد فسجن الوالي كل من عزم على التوجه إلى المشرق، فهرب هو وأصحابه من السجن بالليل، ورجع متوجهاً إلى مدينة مراكش فلقى أبا الحسن علي بن محمد بن خليل (ت567هـ)⁽²⁾ الأندلسي الأصولي، المعروف بابن الإشبيلي الذي أتقن علم الأصول وبرع فيها، وكان خطيباً مفوهاً، وهو الآخر له بصر وخبرة بكتاب الإرشاد فلازمه السلاجي مدة يسيرة حصل فيها فهم الكتاب، وفتح عليه كل ما انغلق عليه من معانيه⁽³⁾، فقد أخذ عنه علم الكلام وأصول الفقه وغيره⁽⁴⁾.

ومن الذين أخذ عنهم كذلك، الذين كانوا أفاضل علماء عصره وأجمعهم لعلوم الشريعة أصولاً وفروعاً أبو عبد الله محمد بن عيسى التادلي (ت564هـ) الفقيه الفاسي من حفاظ المذهب المالكي، وقرأ عليه السلاجي مختصر بن أبي زيد كما ذكر⁽⁵⁾.

(1) التادلي: المصدر السابق، ص ص198-199.

(2) أبو مروان عبد الملك ابن صاحب الصلاة (ت594هـ): المن بالإمامة في تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين، تح: عبد الهادي التازي، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987م، ص ص160-162؛ وأحمد بن القاضي: جذوة الإقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور، الرباط، 1973م، ص449؛ وابن عيشون: الروض العطر الأنفاس، ص194؛ التازي: جامع القرويين، مج1، ص169.

(3) التادلي: التصوف إلى رجال التصوف، ص200.

(4) ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلوة، مج3، ص319.

(5) التادلي: المصدر السابق، ص198.

وقد لازم السلاجي أيضا أبا عبد الله بن علي بن جعفر بن أحمد القيسي (ت567هـ)⁽¹⁾ المعروف بابن الرمامة، حدث بقرطبة ودرس، أخذ عنه علوم الحديث وسمع عنه سنن الترمذي، وقد استشاره هو أيضا في قراءة كتاب الإرشاد فاستحسنه وأشاره على النظر فيه، فكان فقيها نظارا عاكفا على كتاب أبي حامد الغزالي المسمى البسيط محصلا لنكته، وله كتاب التبيين في شرح التلقين وأيضاً كتاب التقصي عن فوائد التقصي، وله كتاب تسهيل المطلب في تحصيل المذهب.

ومن العلوم الفقهية وموطأ الإمام مالك استفاد من عيسى بن يوسف بن عيسى بن علي الأزدي (ت543هـ) المدعو ابن الملجوم -وهو نفسه تلميذ الضرير- كان فقيها نزيلا، عدلا، جزلا، من جلة أعيان فاس⁽²⁾.

وكانت للسلاجي قصة مع أبي محمد مهدي بن عيسى (ت540هـ) الذي كان من أحسن الناس خلقا وخلقاً، وأفهمهم لساناً، وأكرمهم بياناً، وكانت موعظته تؤثر في القلوب لصدقه وإخلاصه⁽³⁾.

(1) ينظر في ترجمته: ابن الأبار: التكملة، مج2، ص ص377-378؛ وأبو عبد الله الذهبي: المستلمح من كتاب التكملة، تح: بشار عواد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2008م، ص ص157-158؛ وابن عيشون: الروض العطر الأنفاس، ص205؛ وأبو عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني (ت1345هـ): سلوة الأنفاس ومحادثه الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تح: عبد الله الكامل الكتاني وحمزة بن محمد بن علي الكتاني، دار الثقافة، الدار البيضاء، 2013م، ج2، ص ص134-135؛ التادلي: المصدر السابق، ص ص198-199.

(2) أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي (ت792هـ): تاريخ قضاة الأندلس-المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، تح: لجنة الإحياء التراث العربي، ط5، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983م، ص102.

(3) أبو الحسن علي الجزنائي (ت766هـ): جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تح: عبد الوهاب بن منصور، ط2، منشورات المطبعة الملكية، الرباط، 1991، ص56؛ وعلي بن أبي زرع الفاسي (ت726هـ): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ومدينة فاس، دار المنصور، الرباط، 1972م، ص62؛ ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ص57.

فقد قال السلاجي فيما رواه صاحب **التشوف** عنه: "تمت يوماً في المسجد الجامع، فرأيت في النوم شخصين قصدا إلي، فدفعا أحدهما يده في صدري، فانفتح وأخذ الآخر يصب الملح فيه وهو يلتحم إلى أن التحم الشق كله، فانتهت من نومي، وأنا أجد الألم في صدري، فقلت إلى مهدي الخطيب الجامع، فقصت عليه الرؤيا، فقال لي: ما هو العلم الذي تنتظر فيه الآن؟ فقلت له أنظر من علم الاعتقاد في كتاب **الإرشاد** فقال لي الزمه، فإنه سيفتح لك فيه"⁽¹⁾.

وممن تشرف السلاجي الدراسة عليهم أيضاً **أبو مروان عبد الملك بن مسرة بن فرج بن خلف بن عزيز (ت552هـ)** اليحصبي، من أهل قرطبة، من مفاخرها وأعلامها. أخذ عن **أبي عبد الله محمد بن فرج الموطأ (ت497هـ)** سماعاً، وأخذ عن جماعة من الشيوخ، واختص بالقاضي ابن رشد وتفقه معه. وكان ممن جمع الله له الحديث والفقهاء مع الأدب البارع والخط الحسن والفضل والدين والورع والتواضع والهدى الصالح، وكان على منهاج السلف المتقدم، أخذ الناس عنه وكان أهلاً لذلك لعلو ذكره، ورفع قدره⁽²⁾.

ومن شيوخه أيضاً **نجد أبو الحسن بن خليفة (ت560هـ)** أحد علماء الأندلس وقضااتها، وهو عبد الله بن خليفة، ويكنى أبا الحسن، من جهة بطليوس، يعرف بابن الموصلية نسبة إلى موصل، من أهل العلم والنباهة، وولي قضاء إشبيلية في الدولة اللمتونية بعد **أبي بكر بن العربي (ت543هـ)**. وقد قرأ عليه السلاجي **موطأ الامام مالك**⁽³⁾.

(1) التادلي: التشوف إلى رجال التصوف، ص199.

(2) ابن بشكوال: الصلة، مج1، ص ص462-463؛ والضبي: بغية الملتمس، ج2، ص497.

(3) جمال علال البختي: عثمان السلاجي ومذهبيته الأشعرية-دراسة لجانب من الفكر الكلامي بالمغرب من خلال البرهانية وشروحها، ط1، دار أبي رقرق، الرباط، 2005، ص134.

إضافة إلى **أبي عبد الله بن جبل** الذي نعرف عن هذا الشيخ سوى ما ورد في كتاب **عثمان السلاجي ومذهبيته** نقلًا عن ما رواه ابن مؤمن من أن السلاجي أخبره أن الشيخ الإمام أبا عبد الله بن جبل أجازه جميع رواياته⁽¹⁾.

هؤلاء إذن هم شيوخ أبي عمرو السلاجي ومذهبيته الذي كون من خلالهم رصيده الثقافي، واستطاع بواسطة العلوم التي زودوه منها أن يستكمل تكوينه ويطلع على جميع العلوم والتخصصات التي كانت سائدة في زمانه.

اتجه إذن السلاجي بعد رجوعه من مراكش إلى مدينة فاس محملاً برصيد معرفي جديد، وبعدها هيأت له الظروف التاريخية والسياسية والثقافية الجو الملائم لنشر أفكاره الجديدة الأشعرية المستنقاة والمتمثلة في كتابه البرهانية.

2- البرهانية السلاجية وشروحها:

فقد اشتهر السلاجي بأنه منقذ فاس من التجسيم وأنه في رتبته في العلم فكان في درجة أبي المعالي للجويني، وعنه نشأ في المغرب علم أصول الدين⁽²⁾. نظراً لعطاءاته العلمية الوافرة فمنها كتاب المسمى: **بالحقيقة البرهانية أو السلاجية** التي قيل أن من دواعي تأليفها أن امرأة أندلسية فقيهة اسمها **خيرونة** (ت 594هـ) وهي من الصالحات⁽³⁾ طلبت منه وضع لها عقيدة مختصرة تلخص مجموع معتقدات الأشاعرة بطريقة سهلة التناول والحفظ وهي أحد تلامذته.

والحقيقة أن البرهانية كانت متمحورة حول ثلاثة محاور ثلاثة رئيسية هي:

(1) المرجع نفسه، ص 135.

(2) إسماعيل ابن الأحمر: المصدر السابق، ص 45.

(3) المصدر نفسه، ص 35؛ ومحمد المنوني: العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، ط 2، دار المغرب، الرباط،

1977م، ص 35.

المحور الأول: الإعتقاد فيما يجب لله

يبتدئ فيها بالواجبات التي تجب لله، وهي ما اصطلح عليها في علم الكلام بالذات والصفات، ثم أن العالم على قسمين: جواهر وأعراض، فالجوهر هو المتحيز، والعرض هو المعنى القائم بالجواهر ثم الدليل على حدوثهما الجواهر والأعراض ثم دليل على ثبوت المانع وعلى قدمه، والدليل على أنه قائم بنفسه وأنه مخالف للحوادث وأنه قادر والدليل على ثبوت الصفات الإلهية وعلى وحدانيته.

المحور الثاني: الجائزات أو اعتقاد الجائزات على الله.

يؤكد على جواز رؤية الله، وجواز أفعال الله وجواز بعث الرسول⁽¹⁾.

المحور الثالث: السمعيات

يجمع فيه السلاجي مجموعة من المعتقدات؛ ينبغي الإعتقاد فيها عن طريق السمع أو العقل من ذلك الإعتقاد في عصمة الأنبياء والرسل ومعتقداتهم ووجود الإعتقاد في الحسن والقبح النقليين وفي التوبة أيضا ثم يدرج في الأخير مسألة عقد الإمامة وشرائطها⁽²⁾.

ولقد كان لوجازة العقيدة البرهانية وحسن اختزالها ولاتفاقها مع الإتجاه العقدي الرسمي للمغاربة، بالغ الأثر في انتشارها بالأوساط الخاصة والعامة وسهولة تناولها فلاقت الإعتناء الكبير، وتعاقب على شرحها رهط كبير من الشراح على امتداد قرون من تاريخ المغرب الإسلامي فمنهم:

⁽¹⁾ أبو عمرو عثمان السلاجي: العقيدة البرهانية والفصول الإيمانية، تح: نزار هادي، ط1، مؤسسة المعارف، بيروت، 2008، ص ص23-30.

⁽²⁾ السلاجي: المصدر السابق، ص ص30-32.

-شرح أبي عبد الله الكتاني (ت596هـ)⁽¹⁾:

وهو أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الكريم الفندلاوي المعروف بابن الكتاني، من أكابر أئمة فاس والمغرب علما وورعا وزهدا وعبادة، كان وجيها في بلده من بيت تقدم، كثير العناية بالرواية، له خط وافر من الأدب والفقه، وكان آخر الأئمة المغرب فيما أخذه عن أبي عمرو الأصولي من علوم الاعتقاد وأصول الفقه؛ وكان أهل العلم بفاس يقولون: أنه لم يتخرج عن أبي عمرو مثله ومثل عبد الحق بن خليل السكوني⁽²⁾، ومن تصانيفه: مناقب أهل عصره إضافة إلى هذا الشرح.

وإن أول مما يجب الإدلاء به أنه لم يتم الحصول على هذا الشرح إلا ما ورد في كتابه المباحث العقلية وكتاب جمال علال البختي، فيسجل هذا الأخير مجموعة من الفحوصات لهذا الشرح. أن الشرح انطلقا من النصوص التي توفرت لدينا يعكس- بصدق ودقة- فكر ابن الكتاني الذي استمده مباشرة من شيخه السلاجي، وبذلك يكون للشرح أهمية قصوى، حيث يعتبر امتدادا لكلام السلاجي وآرائه ومواقفه. يؤكد هذا الشرح أن صاحبه كان ذا اطلاع واسع إن على العلوم العقلية أو على العلوم الشرعية وطريق توظيفها⁽³⁾. كما يعتبر مصدرا أساسيا لكل الشروح التي جاءت من بعده⁽⁴⁾.

(1) ترجمته متعددة المصادر: ابن الزيات التادلي: التشوف إلى رجال التصوف، ص335؛ وابن القاضي: جذوة الإقتباس، ص220؛ والذهبي: المستلمح من كتاب التكملة، ص246؛ والكتاني: سلوة الأنفاس، ج3، ص211-213؛ والتازي: جامع القرويين، ج1، ص176؛ ومحمد مخلوف: شجرة النور، ج1، ص237.

(2) أبو الحسن علي بن عبد الرحمن اليفرنى الطنجي (ت734هـ): المباحث العقلية في شرح معاني العقيدة البرهانية، تقديم وتحقيق: جمال علال البختي، منشورات مركز أبي الحسن الأشعري، المملكة المغربية، (د.ت)، مج1، ص42-43.

(3) جمال علال البختي: عثمان السلاجي ومذهبيته الأشعرية، ص211.

(4) نفسه، ص212.

-شرح الرعيني (ت598ه):

يقول صاحب المباحث العقلية أنه ورد في رسالة مخطوطة لعبد الله الهبطي (ت936ه) في الأحوال إشارة إلى شرح السلاجي إلى رجل يدعى الرعيني، وقد اختلف في ذلك ولم يكتف بنقل اسمه، بل قام يبني على تقسيم الرعيني وتحصيله مجموعة من الآراء والأفعال، وبالإضافة إليه ورسالته، وجدت إشارة أخرى لهذا الشرح عند أبي مهدي عيسى السكتاني (ت1062ه) في حاشيته على أم البراهين أثبت فيها وجود هذا الشرح، لكن من يكون هذا الرعيني؟⁽¹⁾.

هل هو محمد بن عبد الرحمن الرعيني السرقسطي (ت598ه) الذي كان فقيها متخصصا بعلم الكلام متقدما فيه يناظر عليه في الإرشاد وغيره⁽²⁾ أم هو عيسى بن سليمان الرعيني (ت632ه)⁽³⁾ أم هو رعيني ثالث يدعى محمد بن سعيد الأندلسي (ت778ه)⁽⁴⁾ أم هو رعيني آخر لم تذكره كتب التراجم.

-شرح ابن الزق (كان حيا 612ه):

هو محمد عبد الله بن حسن الزرهوني الفاسي الأصل أبو القاسم أبو عبد الله بن الزق (كان حيا 612ه) أخذ بفاس عن جماعة ، ثم رحل إلى الأندلس طالبا للعلم، وله تعليقات مفيدة⁽⁵⁾. فقد وقع الشك في نسبة مؤلفه، بالإضافة إلى فقدان شرحه فلم يعثر عليه.

(1) اليفرنى: المباحث العقلية، ص ص54-55.

(2) ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، مج2، ص256.

(3) المصدر نفسه، مج3، ص ص432-433.

(4) ابن القاضي: جذوة الإقتباس، ص ص235-236.

(5) ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، مج5، ص8، ص197.

-شرح الأستاذ الخفاف (ت ق ٥7):

هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن أحمد الأنصاري الأندلسي المعروف بالخفاف درس ببلاطه وانتقل إلى مدينة تازة وقد صار عالما كبيرا، قد طغى الجانب الكلامي على اهتماماته، له شرح على إرشاد الجويني سماه: **إقتطاف الأزهار واستخراج نتائج الأفكار لتحصيل البغية والمراد من شرح كتاب الإرشاد**⁽¹⁾. وإن لهذا الشرح قيمة علمية وتاريخية لا تخفى، حيث يعتبر من أوائل الشروح ألفت في المغرب، وكان أكثر الشروح ذيوغا وانتشارا بين أوساط العلماء لدقة عمل صاحبه ولحجمه المتوسط وأسلوبه المبسط. كما وفي مسائل البرهانية حقها رغم اختصاره⁽²⁾.

-شرح ابن بزيذة (ت ٥73هـ):

وهو عبد العزيز بن إبراهيم بن أحمد القرشي التميمي التونسي، عرف بابن بزيذة، له تأليف منها: **الإسعاد في شرح الإرشاد، وشرح الأحكام الصغرى، لعبد الحق الإشبيلي، وشرح التلقين وغيرها**⁽³⁾. وقد كان لشرحه هذا قيمة علمية وتاريخية قصوى، لأنه الدليل على مدى رواج آراء السلاجي واكتساح برهانيته للساحة العقلية في بلدان الغرب الإسلامي وتقديرهم لمجهوده واعترافهم بريادته⁽⁴⁾.

-المباحث العقلية في شرح معاني العقيدة البرهانية لليفرني (ت ٥734هـ):

وهو علي بن عبد الرحمن بن تميم اليفرني المكناسي الشهير بالطنجي، إمام في الفرائض والحساب في وقته الفقيه الإمام الحافظ العالم الفرضي⁽⁵⁾. أما فيما يخص هذا

(1) ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، مج3، ص5، ص550-551.

(2) جمال علال البختي: عثمان السلاجي ومذهبيته الأشعرية، ص219.

(3) محمد مخلوف: شجرة النور، ج1، ص272-273؛ والتبكتي: نيل الابتهاج، ص268.

(4) جمال علال البختي: عثمان السلاجي ومذهبيته الأشعرية، ص224.

(5) ابن القاضي: درة الحجال في أسماء الرجال، تح: محمد الأحمد أبو النور، دار التراث، القاهرة، (د-ت)، مج3، ص245؛ ومحمد مخلوف: شجرة النور، ج1، ص313.

الشرح وإنّ المصادر والمنهج الاستدلالي اللذين اعتمدهما اليفرني لتصوران لنا المدى التطوري الذي بلغه علم الكلام المغربي على يد هذا المفكر المغربي في عهده، إذ عرف تحولا كاملا سواءً على مستوى المنهج أو على مستوى القضايا المعالجة، ووقع تقديم الجانب العقلي بوضوح⁽¹⁾.

-مختصر المباحث العقلية للجزولي (ت ق 10ه):

لم تمدنا كتب التراجم والسير والتواريخ بمعلومات كثيرة عنه، وكل ما استطعنا معرفته أنّه عاش في القرن العاشر للهجرة، يكنى أبا عمران واسمه موسى بن محمد الجزولي الشنوكي. فعمد فيه إلى تلخيص بعض القضايا وحذف الكثير من الإستشهادات، وتركيب بعض النصوص تركيبا جديدا، وضم المسائل إلى بعضها البعض، فيبقى ضروريا لمن أراد تحقيق نص المباحث⁽²⁾.

-شرح العقباني (ت 811ه):

وهو سعيد بن محمد العقباني التلمساني الإمام العالم الفاضل، متقن في العلوم وصدارته في العلوم مشهورة وله تأليف منها شرح الحوفي في الفرائض وله شرح الجمل للخونجي...⁽³⁾. ويلاحظ في شرحه هذا بوضوح شدة تأثره بأراء السلاجي وأفكاره، حيث عمل بالتفصيل على تقديم والتعريف بمؤلفه لكل دقة وإيضاح⁽⁴⁾. هذا بالإضافة إلى شروح أخرى متعددة منها كذلك؛

(1) اليفرني: المباحث العقلية، ص 138-139.

(2) جمال علال البختي: عثمان السلاجي ومذهبيته الأشعرية، ص 234-236.

(3) ابن فرحون: الديباج المذهب، ص 204-205.

(4) ينظر: أبو عثمان سعيد بن محمد بن العقباني (ت 811ه): شرح العقيدة البرهانية، تح: نزار حمادي، ط1، مؤسسة المعارف، بيروت، 2008.

-تبيين البيان لمعاني مسائل عقيدة البرهان للسملاني (ت ق 4ه).

-شرح المديوني والغربي.

-شرح المجهول.

-شرح الجديومي.

-شرح التنبكتي للبرهانية.

-نظم عبد الله الهبتي للبرهانية⁽¹⁾.

وختاما ومما يمكن قوله أن السلاجي باطلاعه الواسع بأمر علم الكلام الأشعري، فقد داوم على تلقيه من مختلف أعلامه، قد استطاع بدوره بث ونشر المذهب الأشعري بالمغرب الإسلامي في منحى متطور معتمدا على الجانب العلمي الثقافي، فأهل بذلك العناية والرعاية بتأليف البرهانية، وخير برهان على ذلك كثرة الشروح في عددها وحتى في محياه وبعد مماته، في المقابل قد ظهرت مرشدة ابن تومرت الدالة على أشعرية الواسعة الذي هو الآخر قد عرف كيف يوصلها إلى ما وصلت إليه من ذبوع وانتشار، وتلقي الناس لتعليمها وحفظها وتدريسها، لكن بجانب الإطار العلمي قد وظف العامل السياسي تكريسا لها، وهكذا أصبحت بمثابة دستورين لتلقي الأشعرية في عهدهما، ومن بعدهما.

⁽¹⁾ للتفصيل أكثر؛ ينظر: اليفرنى: المباحث العقلية، ص ص 50، 58؛ وجمال علال البختي: عثمان السلاجي ومذهبيته الأشعرية، ص ص 239-253.

الختامنة

وبحمد الله وتوفيقه وتيسيره نصل إلى ختام البحث

وإنه لما كان لكل بداية لا بد لها من نهاية، لهذا نختم بحثنا المتواضع بعدة استنتاجات تكون حوصلة ما تم عرضه ومعالجته في الفصول السابقة، والتي يمكن تلخيصها وتخريجها في النقاط التالية:

- أن الرقعة المغربية ومع سياسة الدولة المرابطية عرفت علم الكلام الأشعري في أوجه، مثلته الشخصية القيروانية أبو بكر المرادي، المعزى إليه أولويته في إدخال المذهب الأشعري إلى المغرب.

- أن المرادي استطاع استقاء الأشعرية من أصحابها، ومنها صارت بمثابة المرجعية العقيدة المغربية والأندلسية، وقد كان لذلك بمثابة المؤسس لمدرسة مغربية ذات ملمح أشعري.

- وباعتبار أن النشأة المرابطية ذات مبعث فقهي من أبي عمران الفاسي إلى عبد الله بن ياسين، إلى أن يظهر على الساحة المرادي بمنصب الفقيه القاضي سالكا مسلکهم، مدعما بذلك كتابه الإشارة، مشكلا به كدستور للدولة.

- وإنه على ذلك لما ألف كتابه في العقيدة فإنه نهج فيه نهج أساتذته الأشعريين، داخلا به حلبة الصراع العقدي والفكري بين المحافظين على طريقة السلف وبين أنصار التجديد الداعين إلى إحكام العقل والنقل، مدعما هذا الأخير الداعي له بحله وترحاله.

- أن الرقعة الأندلسية هي الأخرى تواجد بها الفكر الأشعري، سلكه فيها المفكر أبو الوليد الباجي القرطبي في احتكاكه بممثليه مشرقي الموطن الذين عرفوا بعقائدهم وتراثهم الكلامي، وهذا لا يعني أنه امتنع طبعاً بتعلمه بموطنه.

- كما لا يفوتنا التنويه بأنّ الباجي قد عكس التأثير الذي أحدثه شيوخه المشاركة من ذلك كتابه "المنهاج في ترتيب الحجاج" ذا الثقافة الفقهية الأصولية الحولية الشاسعة والجامعة.

- وإنّ من كتبه في الأصول والكلام أيضاً: التسديد إلى معرفة طرق التوحيد، وأيضاً إحكام الفصول إلى أحكام الأصول، وكتابه النصيحة الولدية... العاكسة تأثره بالمشاركة.

- وإنه في المقابل يظهر التأثير المحلي من خلال شخصية يوسف بن موسى الضرير الكلبي السرقسطي، تلميذ المرادي وخليفته في هاته العلوم، وتلميذ أبي مروان بن سراج وأبي علي الغساني...

- ونظراً لإخلاص الضرير واجتهاده، خلف آثاراً شهد لها التاريخ العقدي، فأرجوزته التنبيه والإرشاد في علم الاعتقاد؛ حيث اعتبرت بمقام إرشاد العالم الأشعري الجويني.

- كما يجدر القول أن أرجوزة الضرير، قد تصدى لها بالاعتناء والتدريس تلاميذه، وعلى رأسهم تلميذه أبو عبد الله الألبيري، وتلميذه محمد بن خليل السكوني، وأيضاً أبو موسى الأزدي، وتلميذه القاضي عياض.

- وتزامناً مع هذه السيرورة تبرز محطة ابن رشد أبي الوليد القرطبي المنفتح على معتقي الأشعرية، المؤلف عدة مؤلفات المتنوعة في شتى العلوم النقلية المنبثقة في التعبير والتصوير لفكره.

-وإنه لما وصل إليه في زمانه المذهب الأشعري ولمكانة ابن رشد العلمية سواء أو الفقهية ولمنصبه القضائية وجهت إليه فتوى بشأن مشروعية الأشعرية.

-وإنّ جواب ابن رشد كان بين تأييد وتقييد وبين سماح ومنع؛ فإنّ علم الكلام مفيد لكن للمتمكن القادر خوفا من الوقوع في الضلالة، ولا العامة تحذيرا من الوقوع في الفوضى.

-ولا يخفى أن طلب الفتوى إن كان إلا مؤشرا وبرهانا على مدى التطور للمذهبية الأشعرية التي آلت إليه في الفترة المرابطية.

-وإنّ ما بعد المرحلة المرابطية يأتي المشروع الموحد التومرتي الداعي إلى ترسيم المذهب وإلى تعميمه تحديا لما آلت المرحلة السابقة ولما آلت إليه الفتوى الرشدية الداعية إلى جعله خاصا لا عاما.

-كما يجب الإشارة إليه أن ابن تومرت الهرغي قد ارتكز على عدة مذاهبات لا مذهب واحد الذي اقتبسها من جهات عدة المشرق بالأخص.

-أن ابن تومرت دعم مخططه الأشعري التعميمي الترسيمي بتأليفه لكتاب المرشدة فرغم صغر حجمها لعبت دورا كبيرا.

-أن ابن تومرت دعا لمرشدته بالقلم، ولما لم يساعده ذلك، حتم عليه سلك أكثر من سبيل وأن يتخذ أكثر من طريق لإقناع الناس بدعواه، إن لم يكن بالقلم فبالسيف، ومن بعده وصية لخلفائه.

-أن هذه الفترة عرفت كذلك شخصية أخرى هي أبو عمرو عثمان السلاجي الفاسي، ذو التعليم المغربي الأندلسي المشتهر بأنه في درجة أبي المعالي الجويني.

-أن السلاجي كرس علمه الأشعري في كتابه البرهانية بأفكاره وآرائه العقدية.

- أن عقيدة البرهانية - والتي لم تتجاوز الصفحتين - تعاقب على شروحيها رهط كبير، نظرا لوفرتها ولسهولتها، من ذلك شرح أبي عبد الله الكتاني، وشرح الرعيني، وشرح ابن الزق، وغيرها من الشروح.

- وإن من الملاحظ وما يجب التنويه به أن الأشعرية مثلت نقطة التقارب والتفاعل والإحتكاك والانتفاع المغربي الأندلسي المشرقي، وهكذا يمكن القول أن هاته المرحلة الأخيرة ونخص بالذكر مرحلة ابن تومرت والسلالجي، والذي يطيب لكثير من المؤرخين القول إن معها كانت النشأة الأشعرية، وكانت المبدأ لعلم الكلام، وأنه ولد مع ابن تومرت، أنه لا يمكن الأخذ بها بعين الإعتبار، وجعلها حقيقة لا مرد فيها ولا نزاع ولا إبطال لها، وذلك لما شهدته الفترة المرابطية من ممارسات لعلم الكلام الأشعري، ومن جهود وإسهامات، بدءا بعقيدة المرادي، وعائدها السياسي، ثم الباجي، إلى الضرير، إلى ابن رشد، وما بينها من شخصيات تم ذكرها أو أغفل ذكرها التزاما بالإطار الزمني للبحث.

- ويمكن القول في اطمئنان إن الأشعرية الموحدية لم يكتب لها النجاح والذيع لولا ما حققته وأحرزته الأشعرية المرابطية، فإنّ الموحدين لما أتوا وجدوا الساحة الأشعرية جاهزة غنية ثرية متوفرة الكم والكيف، شخصا وفكرا وإنتاجا.

وخلاصة القول، يمكن الجزم أن الفترة المرابطية قد شهدت غنى وثراء وازدهارا أشعريا نظريا وتطبيقيا.

كانت هذه أهم النتائج التي خلصنا إليها، وأهم الحصائل التي تم إحصاؤها، وعليه فإننا لا ندعي من هذه المحاولة أننا قد وفينا البحث حقه، وأننا بلغنا به منتهاه، وإنما على طموح وأمل أن تكون دراستنا الإنطلاقة للاحق الدراسات، والمنفتح لإثارة عدة إشكاليات وهواجس أخرى، وفتح آفاق جديدة تلحقها، ومنها في صياغتنا لها:

-فيما تمثلت أهم الإنتقادات التي وجهت للعقائد الأشعرية؟

-فيما تمثلت نقاط التقارب ونقاط التخالف بين المذهب الأشعري وبين المذاهب

الأخرى؟

-أو إجراء مقارنة بين مختلف المؤلفات المدونة على طريقة المذهب الأشعري.

-أو لدراسة المراحل السابقة أو اللاحقة من هذه الفترة المدروسة من تطور

الأشعرية؟

-أو أخذ نموذج من الأشاعرة على حدة، وقراءة مدى فعاليته في نشره والترويج

له؟

الورقة

-القرآن الكريم رواية ورش عن نافع.

أولاً - المصادر:

- 1- ابن الأبار أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي (ت658ه/1260م): التكملة لكتاب الصلاة، حققه وضبط نصه وعلق عليه: بشار عواد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2011م، (4 مجلدات).
- 2- ابن الأثير عز الدين، أبو الحسن علي بن محمد الشيباني الجزري (ت630ه/1233م): اللباب في تهذيب الأنساب، منشورات مكتبة المنتدى، بغداد، (د،ت)، ج2.
- 3- ابن الأحمر، أبو الوليد إسماعيل بن يوسف الأنصاري (ت810ه/1407م): بيوتات فاس الكبرى، دار المنصور، الرباط، 1972م.
- 4- الباجي، أبو الوليد سليمان بن خلف التجيبي (ت474ه/1081م):
-إحكام الفصول في أحكام الأصول، دراسة وتحقيق: عبد الله محمد الجيوري، ط1، منشورات مؤسسة الرسالة، بيروت، 1989م.
- 5- الإشارة في معرفة الأصول والوجيز في معنى الدليل، دراسة وتحقيق وتعليق: محمد علي فركوس، دار البشائر الإسلامية، بيروت، (د،ت).
- 6- المنهاج في ترتيب الحجاج، تح: عبد المجيد تركي، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001.
- 7- الحدود في الأصول، تح: نزيه حماد، منشورات مؤسسة الرعيني، بيروت، (د،ت).
- 8- النصيحة الولدية-وصية أبي الوليد الباجي لولديه، تح: إبراهيم باجس عبد المجيد، ط3، دار ابن حزم، بيروت، 2000.

9- ابن بسام، أبو الحسن علي بن بسام التغلبي الشنتريني (ت542ه/1148م): الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، ط1، دار الثقافة، بيروت، 1979، مج01.

10- ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك الخزرجي القرطبي (ت578ه/1182م): الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثهم وفقهائهم، حققه وضبط نصه وعلق عليه: بشار عواد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2010م، مجلدين.

11- البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب (ت463ه/1070م): تاريخ مدينة السلام، وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها ووارديها، حققه وضبط نصه وعلق عليه: بشار عواد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001م، مج4.

12- البيهقي، أبو بكر علي الصنهاجي (ت555ه/1160م): أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور، الرباط، 1971.

13- التادلي، أبو يعقوب يوسف بن يحيى ابن الزيات (ت617ه/1220م): التشوف إلى رجال التصوف، تح: أحمد التوفيق، ط1، منشورات كلية آداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1997م.

14- التبتكتي، أبو العباس أحمد بابا بن أحمد الصنهاجي الماسي (ت1036ه/1627م): كفاية المحتاج فيما ليس في الديباج، دراسة وتحقيق: محمد مطيع، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2000.

15- نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، إيش وتق: عبد الله الصرامة، ط1، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1989م.

16- ابن تومرت، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الهرغي السوسي (ت524ه/1130م): أعز ما يطلب، تقديم وتحقيق: عمار طالبي، دار الثقافة العربية، الجزائر، 2007.

17- الجزنائي، أبو الحسن علي الفاسي (ت766ه/1365م): جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تح: عبد الوهاب بن منصور، ط2، منشورات المطبعة الملكية، الرباط، 1991.

- 18- الحجوي، أبو عبد الله محمد بن الحسن الثعالبي الفاسي (ت1376هـ/1956م):
الفكر السامي في تاريخ الفكر الإسلامي، منشورات مطبعة النهضة، تونس، (د.ت)، 4
أجزاء.
- 19- ابن الخطيب، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الغرناطي (ت776هـ/1375م):
الإحاطة في أخبار غرناطة، حقق نصه ووضع مقدمته وحواشيه: محمد عبد الله العنان،
ط1، منشورات مكتبة الخانجي، القاهرة، 1977م، ج4.
- 20- ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمان الحضرمي (ت808هـ/1405م): تاريخ ابن
خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي
السلطان الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: خليل شحادة؛ سهيل زكار،
دار الفكر، بيروت، 2000، ج06.
- 21- ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد البرمكي الأربلي شمس الدين (ت681هـ/
1282م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت،
1977م، مج5.
- 22- ابن خير الاشبيلي، أبو بكر محمد بن خير اللمتوني الأموي (ت575هـ/1179م):
فهرست ما رواه عن شيوخه، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة:
دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989م، جزءان.
- 23- الدباغ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأسيدي القيرواني (ت699هـ/1299م):
معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، أكمله وعلق عليه: أبو الفضل التتوخي، تحقيق
وتعليق: محمد ماضود، منشورات المكتبة العتيقة، تونس، 1904، 4 أجزاء.
- 24- الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد التركماني الدمشقي (ت748هـ/1348م):
-المستلمح من كتاب التكملة، تح وتبع: بشار عواد معروف، ط1، دار الغرب
الإسلامي، تونس، 2008م.
- 25- العبر في خبر من غير، تح: أبو هاجر زغلول، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت،
1985م، ج2.
- 26- سير الأعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط، ط1، منشورات مؤسسة الرسالة،
بيروت، 1984م.

- 27- ميزان الاعتدال في نقد أسماء الرجال، تح: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، (د.ت)، مج3.
- 28- ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد القرطبي (ت520ه/1126م):
-البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة-من الأسمعة المعروفة بالعتبية لمحمد العتبي القرطبي، تح: محمد حجي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م.
- 29-المقدمات الممهدة لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعية والتحصيلات المحكمات لأمهات مسائلها المشكلات، تح: محمد حجي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م.
- 30-الفتاوى، تقديم وتحقيق وجمع وتعليق: المختار بن الطاهر التليبي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987م.
- 31-المسائل، تح: محمد الحبيب التجكاني، ط2، دار الآفاق الجديدة المغرب، 1993م، مج1.
- 32-ابن الزبير، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم الجباني (ت1308/708م):
-صلة الصلة، تح: أبو العلا شريف العدوي، ط1، منشورات مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008.
- 33-غرباء القسم الثاني من صلة الصلة، نشر محمد بن شريفة بذيل من السفر الثامن من الذيل والتكملة لابن عبد الملك، منشورات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1984م.
- 34-ابن أبي زرع، أبو الحسن علي الفاسي (ت726ه/1326م): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور، الرباط، 1972.
- 35-السبكي، أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن علي (ت1771ه/1370م): طبقات الشافعية الكبرى، تح: عبد الفتاح محمد الجلو ومحمود محمد الطناجي، ط1، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1964م، ج2.

- 36- ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى المذحجي الغرناطي (ت685هـ/1286م):
المغرب في حلى المغرب، تح: شوقي ضيف، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1964م،
جزءان.
- 37- السكوني، محمد بن خليل (ت652هـ/1254م): شرح مرشدة ابن تومرت، دراسة
وتحقيق: يوسف احناة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993م.
- 38- السلاجي، أبو عمرو عثمان (ت594هـ/1197م): العقيدة البرهانية والفصول
الإيمانية، تح: نزار حمادي، ط1، مؤسسة المعارف، بيروت، 2008.
- 39- السلاوي، أبو العباس أحمد بن خالد الناصري (ت1315هـ/1897م): الإستقصا
لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتب، الدار البيضاء، 1956م، ج1.
- 40- السيوطي، أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر الحضرمي المصري
(ت911هـ/1505م): بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: أبو الفضل محمد
إبراهيم، ط1، منشورات مطبعة عيسى الباجي الحلبي وشركائه، القاهرة، 1965م،
ج2.
- 41- الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي (ت790هـ/1388):
الاعتصام، نشر: أحمد عبد الكافي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م، جزءان.
- 42- ابن صاحب الصلاة، أبو مروان عبد الملك بن محمد الباجي، (ت594هـ/1198م):
المن بالإمامة في تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين، تح: عبد الهادي
التازي، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987م.
- 43- الصفدي، أبو الصفا خليل بن أبيك (ت764هـ/1363م): الوافي بالوفيات، تح: أحمد
الأرناؤوط وتركي مصطفى، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2000، ج4.
- 44- الضبي، أبو جعفر أحمد بن يحيى اللورقي (ت599هـ/1203م): بغية الملتمس في
تاريخ رجال أهل الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب المصري، القاهرة:
دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989م، جزءان.
- 45- الضرير، أبو الحجاج يوسف بنموسى الكلبى (ت520هـ/1126م): التنبيه والإرشاد
في علم الاعتقاد، تقديم وتحقيق: سمير فوبيع ومحمد العمراني ونور الدين شعبي، ط1،
دار أبي رقرق، الرباط، 2014.

- 46- العباس بن إبراهيم، أبو الفضل بن محمد السملالي التعارجي المراكشي (ت1378هـ/1958م): الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، مر: عبد الوهاب بن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1993م، 10 أجزاء.
- 47- ابن عبد الملك، أبو عبد الله محمد بن محمد الأوسي المراكشي (ت703هـ/1303م): الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، حققه وعلق عليه: إحسان عباس ومحمد بن شريفة، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2012م، مج3، س05.
- 48- عبد الواحد المراكشي، أبو محمد بن علي التميمي (ت647هـ/1249م): المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرحه واعتنى به: صلاح الدين الهواري، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 2006.
- 49- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن الدمشقي (ت571هـ/1175م): تبين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، تح: أحمد حجازي السقا، دار الجيل، بيروت، 1995م.
- 50- العقباني، أبو عثمان سعيد بن محمد (ت811هـ/1408م): شرح العقيدة البرهانية، تح: نزار حمادي، ط1، مؤسسة المعارف، بيروت، 2008.
- 51- عياض، أبو الفضل بن موسى اليحصبي السبتي (ت544هـ/1149م): -ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تح: سعيد أحمد أعراب، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1989م، 8 أجزاء.
- 52- الغنية، فهرسة شيوخه، تح: ماهر زهير جرار، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982م.
- 53- ابن عيشون، أبو عبد الله محمد الشراط (ت1109هـ/1697م): الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، دراسة وتحقيق: زهرة النظام، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1997م.
- 54- ابن فرحون، أبو الوفاء إبراهيم بن علي اليعمري المدني (ت799هـ/1397م): الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح: مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م.

- 55- ابن القاضي، أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي (ت1025هـ/1616م): جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور، الرباط، 1973م.
- 56- درة الحجال في أسماء الرجال، تح: محمد الأحمد أبو النور، دار التراث، القاهرة، (د-ت)، 3 مجلدات.
- 57- القرافي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن يحيى بن عمر الأنصاري (ت1008هـ/1599م): توشيح الديباج وحلية الابتهاج، تح: علي عمر، ط1، منشورات مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2004.
- 58- ابن القطان، أبو محمد حسن بن علي الكتامي (حي 650هـ/1252م): نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، درسه وقدم له وحققه: محمود علي مكي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م.
- 59- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي الفزازي المصري (ت821هـ/1476م): صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1915م، ج5.
- 60- ابن قنفذ، أبو العباس أحمد بن حسن القسنطيني (ت810هـ/1407م):
- أنس الفقير وعز الحقير، اعتنى بنشره وتصحيحه: محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965م.
- 61- كتاب الوفيات، تح: عادل نويهض، ط4، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983م.
- 62- الكتاني، أبو عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس الفاسي (ت1345هـ/1926م): سلوة الأنفاس ومحادثاة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تح: عبد الله الكامل الكتاني وحمزة بن محمد بن علي الكتاني، دار الثقافة، الدار البيضاء، 2013م، ج2.
- 63- مجهول (حي 783هـ/1381م): الحل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1979م.
- 64- مخلوف، أبو الفضل محمد بن محمد (حي سنة 1350هـ/1931م): شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، خرج حواشيه وعلق عليه: عبد المجيد الخيالي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ج1.

- 65- المرادي، أبو بكر محمد بن الحسن الحضرمي القيرواني (ت489هـ/1096م): - كتاب السياسة أو الإشارة في تدبير الإمارة، تح: محمد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزيدي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م.
- 66- العقيدة، تح وتق: جمال علال البختي، ط1، دار الأمان، الرباط، 2012.
- 67- المقرئ، أبو العباس أحمد بن محمد القرشي التلمساني (ت1041هـ/1932م): - أزهار الرياض في أخبار عياض، ضبطه وحققه وعلق عليه: مصطفى السقا وآخرون، منشورات مطبعة لجين، القاهرة، 1942م، ج3.
- 68- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988م، مج2.
- 69- النباهي، أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن المالقي (ت792هـ/1390م): تاريخ قضاة الأندلس- المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، تح: لجنة الإحياء التراث العربي، ط5، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983م.
- 70- اليفرنى، أبو الحسن علي بن عبد الرحمن الطنجي (ت734هـ/1333م): المباحث العقلية في شرح معاني العقيدة البرهانية، تقديم وتحقيق: جمال علال البختي، منشورات مركز أبي الحسن الأشعري، المملكة المغربية، (د.ت)، مج1.

ثانيا - المراجع:

1- الكتب:

- 71- البختي، جمال علال: عثمان السلجوقي ومذهبيته الأشعرية - دراسة لجانب من الفكر الكلامي بالمغرب من خلال البرهانية وشروحها-، ط1، دار أبي رقرق، الرباط، 2005.
- 72- بلغيث، محمد الأمين: النظرة السياسية عند المرادي وأثرها في المغرب والأندلس، دار الثقافة، الجزائر، 2014.
- 73- بولطيف، لخضر: فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الإسلامي، دار الصديق، الجزائر، 2015.

- 74- التازي، عبد الهادي: جامع القرويين، موسوعة لتاريخها المعماري والفكري، ط1، دار نشر المعرفة، الرباط، 1972.
- 75- التهامي، إبراهيم: الأشعرية في المغرب - دخولها، رجالها، تطورها وموقف الناس منها-، ط1، دار قرطبة، الجزائر، 2006م.
- 76- احنانة، يوسف: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، ط2، دار أبي رقرق، الرباط، 2007م.
- 77- شرحبيلي، محمد بن حسن: تطور المذهب المالكي في الغرب الإسلامي حتى نهاية العصر المرابطي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 2000.
- 78- مغزاوي، مصطفى: البعد السياسي في انتشار المذهب الأشعري في المشرق الإسلامي ومغربه، منشورات مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، 2011م.
- 79- المنوني، محمد: العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، ط2، دار المغرب، الرباط، 1977م.
- 80- النجار، عبد المجيد: المهدي بن تومرت -حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب-، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1989م.

2-الدوريات:

- 81- روانو، ديلفينا: المرابطون وعلم الكلام الأشعري -جواب فتوى أم إضفاء الشرعية على معرفة هامشية-، تع: مصطفى بنسباع، مجلة الإبانة، تطوان، ع: 2/2014.
- 82- الصغير، عبد المجيد: مراجعة نقدية لتأويلات إسقاطية حول ترسيم الأشعرية في العصرين المرابطي والموحدي، مجلة الإبانة، تطوان، ع: 2/2014-3.
- 83- مزارى، عبد الصمد توفيق: أثر المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي حتى القرن السادس الهجري، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، 2014م، ع: 17، الجزائر.
- 84- الوردى، لطيفة: تطور موقف فقهاء المغرب من علم الكلام إلى حدود العصر المرابطي، مجلة الإبانة، تطوان، ع: 2/2014-3.

3- الملتقيات:

85- بن حمادي، عمر: تساؤلات حول الأشاعرة بالغرب الإسلامي في القرن الخامس الهجري، علاقتهم بالمرابطين وتواجههم بالأندلس، ضمن أشغال الندوة الدولية الأولى: من أعلام الغرب الإسلامي: أبو الوليد الباجي وأبو الحسن اللخمي، المنعقد بتونس، بتاريخ يومي 22 و 23 أكتوبر 2014م، جمع النصوص وأعدّها للنشر: نجم الدين الهنتاني، تونس، 2015.

الكشافات

(كشاف المصنفات العلمية)

كشاف المصنفات العلمية

- اقتطف الأزهار واستخرج نتائج الأفكار لتحصيل البغية والمراد من شرح كتاب الإرشاد؛ الخفاف: 81.
- الإقناع في القراءات العشرين؛ أبو ذر الهروي: 29.
- الإنباه في وجوب أجره القضاء؛ أبو بكر المرادي: 16.

-ب-

- بدعة خاطر ومتعة الناظر؛ أبو القاسم اللغوي القصديري: 10.
- البسيط؛ أبو حامد الغزالي: 67، 75.
- البيان؛ الكيا الهراسي: 68.
- البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة من الأسمعة المعروفة بالعنبيية؛ أبو الوليد ابن رشد: 52، 53.

-ت-

- التبصرة؛ أبو طالب المكي: 10.
- التبصرة؛ أبو محمد عبد الحق التميمي: 13.
- التبصرة في الأصول؛ أبو إسحاق الشيرازي: 33.

-أ-

- إحكام الفصول إلى أحكام الأصول؛ أبو الوليد الباجي: 36.
- الأحوال؛ لعبد الله الهبتي: 80.
- إحياء علوم الدين؛ أبو حامد الغزالي: 64، 67، 68.
- اختصار شرح معاني الآثار؛ أبو الوليد ابن رشد: 54.
- اختصار مشكل الآثار؛ أبو الوليد ابن رشد: 54.
- أربعون مسألة في أصول الدين؛ محمد بن خليل السكوني: 43.
- إرشاد؛ الجويني: 74، 75، 76.
- الإسعاد في شرح الإرشاد؛ ابن بزيمة: 81.
- الإشارة في تدبير الإمارة؛ أبو بكر محمد المرادي: 21، 22.
- الإشارة في معرفة الأصول؛ أبو الوليد الباجي: 36.
- أعز ما يطلب؛ ابن تومرت: 71.
- الإفصاح والبيان في علم الكلام على القرآن؛ أبو عبد الله الألبيري: 17.

-ح-

-الحدود في الأصول؛ أبو الوليد
الباجي:37.

-خ-

-الخلاصة؛ أبو حامد الغزالي: 67.

-د-

-الدعوات؛ أبو جعفر السمناني: 30.

-ر-

-رسالة البيان في حقيقة الإيمان؛ أبو
عبد الله الألبيري: 17.

-س-

-السنة والصفات؛ أبو جعفر السمناني:
30.

-سنن النسائي:49.

-ش-

-شرح أبي عبد الله الكتاني:79.

-شرح أبي عبد الله محمد بن خليل
السكوني:73.

-شرح الأستاذ الخفاف: 81.

-شرح ابن بزيمة:81.

-شرح التتبكتي للبرهانية:82.

-ترتيب المدارك وتقريب المسالك
لمعرفة أعلام مذهب مالك؛ أبو الفضل
عياض:45.

-التسديد إلى معرفة طرق التوحيد؛ أبو
الوليد الباجي:36.

-تسهيل المطلب في تحصيل المذهب؛
أبو عبد الله محمد القيسي:75.

-التقصي عن فوائد التقصي؛ أبو عبد
الله القيسي:75.

- تقييد المهمل وتمييز المشكل؛ أبو
علي الغساني الجياني:41.

-تلخيص الحسن والقبح؛ أبو الوليد ابن
رشد:54.

-التببيه والإرشاد في علم الاعتقاد؛ أبو
الحجاج يوسف الضرير: 42.

-التببيه والمهذب في الفقه؛
الشيرازي:32، 33.

-تهذيب الطالب؛ أبو الطيب
الكندي:11.

-ج-

-الجامع؛ أبو جعفر السمناني:30.

-جامع البيان في القراءات السبع؛ أبو
عمرو الداني:12.

-شرح الجديومي:82.

-شرح الرعيني:80.

-شرح ابن الزق:80.

-شرح العقباني:82.

-شرح المجهول:82.

-شرح المديوني والغربي:82.

- شرح مشكل ما وقع في الموطأ

وصحيح البخاري؛ أبو عبد الله

الألبيري:17.

- الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى

الله عليه وسلم؛ عياض:45.

-ف-

- الفصول إلى معرفة الله ونبوة

الرسول صلى الله عليه وسلم؛

الألبيري:17.

-فضائل القرآن؛ أبو جعفر

السمناني:30.

-فقه اللغة؛ أبو منصور الثعالبي:10،

17.

-فهرست؛ أبي العباس العذري:48.

-فهرست؛ أبو عمرو الداني:12.

-ق-

-القصد والإيجاز؛ أبو محمد

التميمي:13.

-س-

- الكبير في المسند الصحيح المخرج

على البخاري ومسلم؛ أبو جعفر

السمناني:30.

-ل-

-اللمع وشرحها؛ الشيرازي:33.

-م-

-ص-

-صحيح مسلم:15، 48، 66.

-ط-

-طبقات القراءات؛ أبو عمرو

الداني:12.

-ع-

-العقيدة البرهانية؛ السلاجي:78،

79.

-عقيدة المرادي:24-25-26.

-غ-

-الغنية، عياض:45.

-نظم عبد الله الهبطي للبرهانية:82.
-النكت والخلافيات؛ الشيرازي:33.
-النكت والفروق لمسائل المدونة؛ أبو
الطيب الكندي:11، 13.

-و-

الوجيز؛ الغزالي:67.
-الوسيط؛ الغزالي: 67.

-المباحث العقلية في شرح معاني
العقيدة البرهانية؛ اليفرنى:79، 80،
81، 82.

-مختصر أبي زيد: 75.

-مختصر المباحث العقلية؛
الجزولي:82.

-المدونة:11، 12، 13، 53.

-المرشدة؛ ابن تومرت:70، 71، 72،
73.

-المسائل؛ ابن رشد: 51، 52.

-المستصفى؛ الغزالي:67.

-المعجم في شيوخ ابن سكرة،
عياض:45.

-المعونة في الجدل؛ الشيرازي:33.

-مفردات القراءات السبع، الداني:12.

-المقتضب؛ أبو الحسن النحوي:15.

-المقدمات والممهديات؛ أبو الوليد ابن
رشد:53.

-المتع والتيسير في القراءات السبع؛
الداني:12.

-مناقب أبي الشيخ أبي إسحاق

الجنبياني؛ أبو القاسم الحضرمي: 11.

-الموطأ:11، 49، 64، 77.

-ن-

-النصيحة الولدية؛ الباجي: 37، 38.

فهرس المحتوى

المقدمة.....	(10-1)
الفصل الأول عقيدة المرادي.. والموقف السياسي من الأشعرية	(30-11)
أولاً: عقيدة المرادي.. تحصيلا وإنتاجا	12
1- شيوخ المرادي	12
2- تلاميذا لمرادي	17
ثانياً: الأشعرية كخيار عقدي للسلطة السياسية المرابطية	22
1- الحضور السياسي لمرادي	22
2- العقيدة المرادية	26
الفصل الثاني: المسار العلمي للأشعري.. من الوافد إلى المحلي	(49-31)
أولاً: الباجي والأشعرية الوافدة	32
1- الرحلة الباجية المشرقية	32
2- المصنفات الباجية	38
-ثانياً: الضرير والأشعرية المحلية	43
1- الأخذ الأشعري للضرير	43
2- العطاء الأشعري للضرير	45
الفصل الثالث: ابن رشد.. حوصلة ولحظة مفصلية	(67-50)
أولاً: ابن رشد منفتحاً على المؤثرات الأشعرية	51
1- المشيخة الرشدية	51
2- المؤلفات الرشدية	55
ثانياً: ابن رشد وحدود التحفظ على إشاعة الكلام الأشعري	60

60.....	1- إجازة الكلام الأشعري
64.....	2- التحفظ على إشاعة الكلام بين العوام
(90-68).....	الفصل الرابع: الأشعرية بين التوظيف السياسي والتكريس العلمي
69.....	أولاً: التوظيف السياسي للأشعرية.. مرشدة ابن تومرت
69.....	1- التكوين الأشعري التومرتي
74.....	2- المرشدة ودعمها السياسي
80.....	ثانياً: التكريس العلمي للأشعرية.. برهانية السلاجي
80.....	1- التلقين الأشعري للسلاجي
84.....	2- البرهانية السلاجية وشروحها
91.....	الخاتمة
97.....	الوراقية
108.....	الكشافات
108.....	فهرس المحتوى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ